دو فصلنامه تخصصی مؤسسه کتاب‌شناسی شیعه

11
12

کتاب شیعه

سال ششم شماره اول و دوم بهار تا زمستان ۱۳۹۴

ISSN: 2228-5679

ویژه تراجم، کتاب‌شناسی، نسخه‌پژوهی، نقد کتاب

والد الشيخ البهائي يكاتب السلطان العثماني سليمان القانوني

يوسف طباجة / أُستاذ في الجامعة اللبنانية

الخلاصة

المقالة عبارة عن دراسة و مقارنة بين رسالتين كتبهما الشيخ حسين بن عبد الصمد الجبعي للسلطان العثماني، الأولى: مقدّمة كتابه نُور الحقيقة و نَورُ الحديقة الذي أهداه إلى السلطان العثماني، والثانية: الرسالة التي كتبها عن لسان الشاه طهماسب الصفوي جواباً عن رسالة السلطان سليمان القانوني في إرجاع ولده بايزيد عندما هرب منه و لجأ إلى الدولة الصفوية.

چکیده

این گفتار شامل دو نوشتار از پدر شیخ بهائی به سلطان سلیم قانونی است، نخست مقدّمه کتاب نور الحقیقة که به سلطان عثمانی اهدا شده، دیگری نامه شاه طهماسب صفوی به سلطان سلیم عثمانی است که به خامهٔ پدر شیخ بهائی تحریر شده است.

کلید واژه‌ها:

عاملی ـ حسین بن عبد الصمد، عثمانی ـ سلطان سلیم، مکاتبات؛ نور الحقیقة (کتاب)، شاه طهماسب صفوی.

Abstract

Yusuf Tabajah

Sheikh Baha› al-Din al-`Amilis father communicated with the Ottoman Sultan Sulayman Qanuni

The paper presents and discusses two letters of Sheikh Baha› al-Din al-`Amili›s father to the Ottoman sultan Sulayman Qanuni. The first one is the i troduction to the book Nur al-Haqiqah, dedicated to the Ottoman sultan. The other one is the Safavid Shah Tahmasb to the Ottoman Sultan Salim, as transcribed and edited by Sheikh Baha› al-Din›s father.

www.noormags.ir

والد الشيخ البهائي يكاتب السلطان العثماني سليمان القانوني

يوسف طباجة / أُستاذ في الجامعة اللبنانية

NOORMAGS

تَمُدُّنَا وثيقتان؛ مخطوطتان كَتَبَهُمَا الشيخ حسين بن عبد الصمد الجبعي، والد الشيخ بهاء الدين العاملي، بأخبار عن جانبٍ أساسي من وقائع حركة علميّة كبيرة، مجالها الحيوي جبل عامل كمركز لمحور الحراك هذا، وأطرافها تصل إلى عاصمة الدولة العثمانية اسطنبول من جهة، وكلّ المدن العلمية ـ مشهد، إصفهان، هِرات[1] (يوم كانت ضمن السيادة الإيرانية)... ـ في إيران الصفوية، وعلى رأسها تبريز العاصمة من الجهة الأُخرى. ورحلات علميّة إلى مدن وعواصم العلم والفقه والثقافة (بالمصطلح المعاصر) من القاهرة، إلى بغداد والحلّة والنجف...، ودمشق وحلب...، مروراً بمدن فلسطين، إلى مكّة والمدينة في بلاد الحجاز، إلى الهند، وصولاً إلى البحرين[2] ... .

هذا الحراك الثقافي الواسع، منطلقه مشروع نهضوي في عصر الانحطاط[3]. أسّس له ورعاه فقهاء عامليّون، خاصّة الشهيد الثاني (قتل ٩٦٥ هـ) وتلامذته عموماً، وعلى رأسهم وأبرزهم الشيخ حسين بن عبد الصمد الجبعي العاملي (ت ٩٨٤هـ/ في البحرين مهاجراً إلى الله). ليتكفّل بمتابعة أُكل المشروع ولده الشيخ البهائي، الذي هو سِرُّ أبيه ووليد هذا المشروع[4] ... .

١. راجع أشعار الشيخ بهاء الدين العاملي عن هرات والحنين إليها باعتبارها مرتع صباه ... ومنها ما كتبه إلى والده بهرات من قزوين سنة ٩٨١هـ:

بقزوين جسمي وروحي ثوت　　بأرض الهرات وسكانها

وذكر السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة أنه لايزال هناك أعقاب للشيخ حسين فيها. أعيان الشيعة، ج ٦، ص ٥٧.

٢. راجع الرحلات العلمية للشهيدين الأول والثاني وتلامذتهما إلى كل من القاهرة ودمشق وفلسطين والعراق ... في سيرهم.

٣. محمد كرد علي: خطط الشام، ج ٤، ص ٥١. يقول إنّ القرن التاسع بداية الانحطاط.

٤. راجع دراستنا لمؤتمر الشيخ البهائي بعنوان: الفكر العلمي والتربوي عند الشيخ البهائي.

www.noormags.ir

الوثيقة الأُولى

هي مقدّمة كتاب: نُوْر الحَقِيْقَةِ ونَوْر الحَدِيْقَةِ في العقل والعلم والأخلاق والآداب[١]، للشيخ حسين بن عبد الصمد، قمنا بتحقيقه ـ وسينشر قريباً ـ استناداً لمخطوطتين بخطه:

الأولى: أنهاها الشيخ حسين بتاريخ ٣ رمضان ٩٤٥هـ/ ٢٣ كانون الثّاني ١٥٣٩م، دون أن يذكر المكان، ونقدّر أنّه في بلده جبع. وتبدو على ما يتبيّن لنا بأنّها بمثابة المسوّدة للمخطوطة الثانية التي انتهى من مشقّة مشقها في:

ثاني عشر ذي القعدة سنة خمس وأربعين وتسع مئة من الهجرة النبوية [١٢ ذي القعدة ٩٤٥هـ/ ١ نيسان ١٥٣٩م ـ أي بعد شهرين تقريباً من الإنهاء الأوّل] على مشرّفها السلام، بمدينة قسطنطينية [اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية]، جعلها الله دار الإسلام إلى يوم القيام ....

وكان عُمْرُه حوالي ٢٧ سنة تقريباً. علما أنّ الشهيد أجازه إجازة مطوّلة (بتاريخ ٣ جمادي الآخرة ٩٤١ هـ/ ١٠ كانون الأوّل ١٥٣٤م) يظهر من خلالها أنّ الشيخ حسيناً بلغ درجة الاجتهاد، وكان عمره بحدود ٢٣ سنة[٢].

والمفارقة أنّ هاتين المخطوطتين موجودتان في مكتبتين لجامعتين أوروبيّتين[٣]:

المخطوطة الأُولى

في مكتبة شستربيتي Chester Beatty في دبلن في إيرلندا تحت رقم MS ٣٨٢٠. وهذه النسخة كانت في العراق، ورآها العلامة آقا بزرگ الطهراني، ووصفها في موسوعته: «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» بقوله:

نُور الحقيقة ونَور الحديقة في الأخلاق، لعزّ الدين الحسين بن عبد الصمد الحارثي ٩: ٢٤٩ وصاحب الإجازات ١: ١٨٦-١٨٥ ووالد البهائي. أوّله: «الحمد لله الذي خلق العقل بكمال قدرته، وجعله مستنداً لعلم ما يكتمل به النفس الناطقة بلطيف حكمته، وأرشدها إلى وجوه المعايش ...».

وفي آخره: «فرغ من مشقّة مشقه مؤلّفه فقير رحمة ربّه حسين بن عبد الصمد الحارثي ... لثلاث خلت من شهر رمضان ٩٤٥هـ»، وفي أوّله فهرس أبوابه الإثنين والعشرين [...].

رأيت النسخة قديماً بخطّ المؤلّف في مكتبة الشيخ عبد الحسين الطهراني، المعروف بشيخ العراقين[٤] بكربلا، وقد كتب على النسخة تقريظات للأُدباء بخطوطهم، منها تقريظ تقي الدين بن علاء الدين بن تقي بن عبد الصمد[٥] من أحفاد المصنّف

---

١. كذا جاء في الصفحة الثالثة من المقدمة.

٢. يمكن مراجعة نص الإجازة في كتاب رسائل الشهيد الثاني، الجزء الثاني. أو من ترجم للشيخ حسين كما في اعيان الشيعة.

٣. هذا القسم من المخطوطات وغيرها من تراثنا نقل، لا بل نهب إلى حيث هو بسبب اهتمام الغرب بهذا التراث الذي شكّل أحد المداميك الأساسية لنهضته وتقدمه منذ الحروب الصليبية، حيث انتبه الغرب إلى ما هو عليه من عصر الظلمات عند احتكاكه بالشرق... .
للتفاصيل راجع: قاسم عبدو قاسم: الحروب الصليبية. و زغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب.

٤. راجع ترجمته وعن مكتبته العظيمة التي أتلفت: أعيان الشيعة، ج ٧، ص ٤٣٨.

٥. جاء الاسم على المخطوط: «تقي الدين علاء الدين بن تقي الدين بن نصر الدين عبد الصمد الحارثي الهمداني عفي عنه».

www.noormags.ir

والد الشيخ البهائي يكاتب السلطان العثماني سليمان القانوني

وهي رباعية:

هذا كتابٌ قد حوى نكتــاً وأقوالاً دقيقه
نُور الحقيقــةِ إسمه لكنّه عينُ الحقيقــه

ومنها رباعيّتان للحسين الفتال الحسيني النجفي، إحداهما في أوّل الكتاب:

تأمّــل بمــا فيهِ جميعــاً فإنّه
تَروقُ معانِيهِ لِذِي القلبِ واللُّبِّ
تَضَمَّنَ آدابــاً جِسَــاناً وحكمَــةً
ومنها قد استَولى على القَلبِ واللُّبِّ

والآخر بخطّه على آخر الكتاب:

طالعتُهُ مُســـــتوعباً فوجدتُهُ
جمَّ الفوائدِ زينةً لمجالـــسِ
كَم نُكتةٍ ونصيحةٍ قد ضمَّها
ولطيــفةٍ هي نزهةٌ لمجالِس

وكتب منصور بن علي عقيل الحسيني الخادم رباعيةً هي:

كتابٌ حوى فضلاً وعلماً وسؤدداً
ونصحاً وإيقاظاً وعقلاً وأفكارا
فللّه درّ الســـــالكين طريقَهُ
ففي طرقه حورٌ حسانٌ وأبكارا

وغير ذلك.

وعليه تملّك درويش محمد العيفاوي النجفي، ثمّ تملك ولده إبراهيم بخطّهما؛ والأسف خلو الخطوط عن التأريخ. وهناك نسخة فتوغرافية دخلت أخيراً في مكتبة أمير المؤمنين للأميني بالنجف، قيل إنّها صوّرت عن نسخة خطّ المؤلف أيضاً موجودة بمكتبة الأزهر، وهذه في ١٨٣ صفحة، وعليها تملّك إبراهيم بن درويش محمد الغفاري [كذا]. ويمكن الظنّ بأنّ نسخة الطهراني بكربلا انتقلت إلى القاهرة، ونسخة ناقصة عند السيّد شهاب الدين المرعشي بقم، كتبت سنة ١٠٥٩هـ كما في فهرسها[1].

ما يوجب الإشارة إليه في هذه المخطوطة _ موضوع دراستنا وتحقيقها _ هو أنّ نصّ المقدّمة جاء متقطّعاً خالياً من جوهر الخطاب المومى فيه إلى السلطان العثماني، ويظنّ بأنّ الشيخ حسين قد أخفى منها بحدود الأربع صفحات وأجزاء من صفحات بالتمزيق عند وصوله إلى العراق أو ايران... وذلك لإخفاء المضمون، كون الصراع بين العثمانيين والصفويين كان على أشدّه ... الأمر الذي لم يتّضح لمحقّق الكتاب السيد محمد جواد الجلالي الذي اعتمد على هذه النسخة في تحقيقه للكتاب[2].

١. الذريعة، ج ٢٤، ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨.
٢. راجع: نور الحقيقة ونور الحديقة، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي، قم ١٩٨٣، ط٢، مؤسسة النور، بيروت ١٩٨٧.

www.noormags.ir

المخطوطة الثانية

موجودة في المجموعة الشرقية من مخطوطات مكتبة جامعة ليدن Leiden في هولندا تحت رقم MS ٩٧٩، وقد أشار إليها كارل بروكلمان Carl Brockelmann في موسوعته تاريخ الأدب العربي[١]، وكذلك جرجي زيدان في موسوعته تاريخ آداب اللغة العربية[٢].

هذه المخطوطة كانت بملكيّة رجل تركي هو: حسين الشهير بآخي زادة، بحسب ما هو بارز على غلافها، وعلى ما يبدو كان من كبار علماء عصر السلطان سليمان، وهو بالتالي ينتسب إلى إحدى الأُسر العلمية البارزة في اسطنبول، والمقربة من السلطان العثماني[٣].

أمّا اللافت _ وعلى نفس صفحة التملك _ هناك كلام مطرّس، وعلى ما يبدو من بعضه الظاهر في السطر الثاني: «فاضل عالي مقام حضرة ...» أنّه اسم السلطان سليمان...ومصداق تقديرنا ما سيأتي في المضمون.

وخلافاً لنسخة Chester Beatty، فإنّ هذه النسخة هي كاملة بمقدّمتها ومتنها... لذلك اعتمدناها كنصٍّ أساسيّ في التحقيق.

ما نودّ تسليط الضوء عليه في هذه المخطوطة (الوثيقة) هي المقدّمة التي تتضمّن خطاباً مرفوعاً للسلطان سليمان القانوني يهديه فيها الكتاب.

وعلى عادته وأُسلوبه ومنهجه في الكتابة التي ألفناها من خلال تحقيقنا لرسائله التي كان يرفعها لأُستاذه الشهيد الثاني، لا يختلف نصّ الشيخ حسين في علوّ مبانيه وعمق معانيه.

وإن كان هذا النصّ الذي بين أيدينا متقدّم زمنيّاً، إلّا أنّه يقع في نفس الإيقاع الجمالي في اللغة والأدب، فنلاحظ الشيخ حسين يستخدم فيه حبكته، وتعابيره المدروسة بدقّة وعناية فائقة، يستطيع القارئ _ بين السطور _ أن يفهم جيّداً الهدف من خلف هذا النصّ المركّب من كلمات وجمل وفقرات تدلّ دلالة رائعة على صاحبها كأديبٍ وسياسيٍّ ومحاورٍ وفقيه. فقد أحسن الشيخ الشهيد الثاني بإسناده المركز والدور الذي كلّفه فيه، وهو الذي قال فيه ما لم يقله في أحدٍ من تلامذته على كثرتهم، فهو كان يده اليمنى وشريكه في الدرس والعمل والسفر، ويستحقّ أن نقول فيه إنّه سفير الشهيد الثاني.

هذا العمل الهادف للانفتاح على السلطة العثمانية بشخص السلطان مباشرة، جاء بعد الجولة التي قام بها الشهيد الثاني _ وبرفقته الشيخ حسين بن عبد

---

1. Carl Brockelmann: Geschichte der arabisehen, 2nd ed., 2 vols. (Leiden: E.J. Brill, 1943-49) + 3 suppls. (1937-42), SII: 576. Brockelmann notes; that the manuscript is dated 945/1538, when it was actually completed in 1539. He gives the title of the work incorrectly as NÙr al-ÎaqÐqahwa-nawr al-ÎadÐqah, whereas Dozy has the correct vowelingNÙralÎaqÐqah.

- DEVIN J. STEWART: ÍUSAYN B. ÝABD AL-ÑAMAD AL-ÝÀMILÏ›S TREATISE FOR SULTAN SULEIMAN AND THE SHÏÝÏ SHÀFIÝÏ LEGAL TRADITION. ISLAMIC LAWAND SOCITY 4.1997.P170.

٢. تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٣، ص ٢٨٤.

٣. لاحظ: أحمد بن مصطفى بن خليل، أبوالخير، عصام الدين طاشْكُبْري زَادَهْ (ت ٩٦٨هـ): الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص ٤٣٦ و ٤٥٦ و٤٦٢ و٤٦٤. وفي ترجمة ولده المُولى مُحَمَّد بن نور الله المشتهر باخي زَاده ٤٩٩.

www.noormags.ir

الصمد وتلامذة آخرين منهم ابن العودى كاتب سيرته ـ على العديد من المراكز العلمية، وعلى اختلاف مذاهبها الإسلامية، بدايةً من دمشق التي زارها وقرأ على فقهائها ومنهم: الشيخ الفاضل المحقّق الفيلسوف شمس الدين محمد بن مكي (ت ٩٣٨ هـ/ ١٥٣١ م)... والشيخ أحمد بن جابر... .

ثمّ عاود زيارتها سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م، حيث يصرّح بالقول: «... وفي تلك السفرة اجتمعت بجماعةٍ كثيرةٍ من الأفاضل»، وأوّل اجتماعه كان بالشيخ شمس الدين بن طولون الدمشقي الحنفي، وقرأ عليه جملة من الصحيحين، فأجازه رواياتهما معاً.

أرض الكنانة مصر كانت وجهته الثانية في بداية العام ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م، وبرفقته على عادته جمعٌ من تلامذته وعلى رأسهم الشيخ حسين، ساعده الأيمن إذا جاز التعبير... حيث اشتغل على جماعة كثيرة من علمائها على اختلاف مذاهبهم فسمّى منهم ستّة عشر عالماً... وبقي فيها ما يقارب السنتين.

ومن مصر... قاصداً الحجّ إلى بيت الله الحرام في مكّة توجّه الشهيد الثاني وتلامذته، ليعود إلى الوطن وبلده جبع في العام ٩٤٤هـ/ ١٥٣٥م... والتي نعتقد بأنّها كانت مرحلة التثبّت ـ بعد التأسيس ـ والاستقرار، حيث عمَّر داره ـ الذي لازالت آثاره، خصوصاً حيطانها، قائمة إلى اليوم، مجدِّدين الطلب على ترميمه وتحويله إلى مركزٍ تراثيٍّ سياحي ـ بيده، وشرع في عمارة المسجد ـ المدرسة ـ المجاور للدار ـ والذي لا زال قائماً بعد التحسينات التي طرأت عليه ـ، وانتهى في سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٩م[١].

وهي الفترة التي انكب الشيخ حسين فيها على كتابة: نور الحقيقة ونور الحديقة، ولا نشكّ بأنّ العمل وما يهدف إليه كان برعاية وإشراف الشهيد الثاني وضمن المشروع النهضوي الذي أشرنا إليه أعلاه... .

مضمونها: أمّا مضمون المقدّمة (الوثيقة) هذه، فقد جاءت على امتداد سبعة صفحات من مخطوط نسخة جامعة ليدن Leiden، بدأها الشيخ حسين بحمد الله «الذي خلق العقل بكمال قدرته» لوسيلة العلم. ثمّ أخذ بمنطقٍ فقهيٍّ علميٍّ يدلّل على أهميّة العقل الذي هو نعمة الله على الآدميّين[٢]؛ «تكتمل به النفس الناطقة»، التي أرشدها تعالى لتتدبّر «به إلى وجوه المعايش بنعمته»، «وندبها به إلى التحلّي بمحاسن الآداب، والكون على أعدل الحالات برأفته» تعالى؛ ليشهد بعدها الشيخ حسين على إيمانه بوحدانية الخالق «الذي تنزّه ... وتقدّس بعظمة عزته ...»، مقرّاً بإسلامه و قناعاته بآيات الله تعالى، مستوحياً من القرآن الكريم نزاهة الرَّب «بسطوة سلطنته»، مستشهداً بالآية الكريمة: ﴿... وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٣].

---

١. مع الإشارة إلى أنّ المسجد الأساسي لبلدة جباع ليس بعيداً عن مسجد الشهيد ومنزله، وهذا ما يدل على بداية الاستقرار لمدرسة الشهيد في المسجد الذي يشكّل القطب من الرحى في المجتمع الاسلامي.

٢. نشير إلى أنّ الباب الأوّل من كتاب نور الحقيقة هو: باب العقل في تسع فصول. يليه باب العلم في اثنان وعشرون فصلاً.

٣. الحج / ٣١. استخدم الشيخ حسين عبارة: « فمن يكفر»، بدلا من :

www.noormags.ir

بعد هذه الديباجة يعاود الشيخ حسين على حمد الله وشكره، لينطق بالشهادتين مفعمة بكلمات وألفاظ ذات دلالات إيمانية من جهة، وأدبية راقية من الجهة الأخرى، تبرهن على طول باع الكاتب بالعقيدة الإسلامية وشرعها....

ثمّ يبدأ بشرح كيفيّة تأليف الكتاب ومحتواه وفرادته وتسميته. ثمّ يشرع بتقديم الكتاب للسلطان سليمان القانوني مادحاً دون أن يسمّيه، مستخدماً أفضل التعابير وأفخمها وأجزلها وأدلّها على علوّ المقام وشرفه، وحفظه للإسلام والذبّ عنه، ...كلّ هذا ويستعين ببيت من الشعر للمتنبّي يرمي من ورائه عجزه عن المدح:

طَلَبْتُ لَهُ مَدْحاً فَمَا مِنْ فَضِيْلَةٍ
تَأَمَّلْتُ إلّا جَلّ عَنْهَـــا وَقَلَّتِ

بعدها يسمّي السلطان وسلالته، مثنياً عليها ثناءً جليلاً وعظيماً. ثمّ يختم بالدعاء له ولدولته بالعزوالخلد، والنصر على أعدائه ... «ليبلغ الأقاليم السبع يده ولسانه»[1]. وبلطفٍ وبدبلوماسيةٍ رائعة؛ وبطريقة غير مباشرة يظهر طلب الشيخ حسين بقوله: «وَلَمَّا كَانَ لِكُلِّ مَخْلُوْقٍ فِي هَذَا الدُّعَاءِ حَظٌّ وَافِرٌ يَصِلُ إِلَيْهِ، كَانَ جَدِيْراً بِالحَكِيْمِ الكَرِيْمِ[2] قَبُوْلُهُ، بَلْ وَالزِّيَادَةُ عَلَيْهِ».

بعدها يعود ليتحدّث عن مضامينه ومنهجيّته في الكتابة مبتدأً بباب العقل، ولعلّها دلالة مبرّزة، كون العقل هو الدليل الرابع من أدلّة الأحكام الشرعيّة عند الشيعة[3]....

وجاء نصّ المقدّمة (الوثيقة) كالآتي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الّذي خَلَقَ العَقْلَ بِكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وجَعَلَهُ مُسْتَعِدّاً لِعِلْمِ مَا تَتَكَمَّلُ بِهِ النَّفْسُ النَّاطِقَةُ بِلُطْفِ حِكْمَتِهِ، وأَرْشَدَهَا بِهِ إِلَى وُجُوْهِ المَعَايِشِ بِنِعْمَتِهِ، ونَدْبَهَا بِهِ إِلَى التَّحَلّي بِمَحَاسِنِ الآدَابِ؛ والكَوْنِ عَلَى أَعْدَلِ الحَالَاتِ بِرَأْفَتِهِ، الَّذِي تَنَزَّهَ بِسَطْوَةِ سَلْطَنَتِهِ عَنْ الصَّحَابَةِ والرَّفِيقِ، وتَقَدَّسَ بِعَظَمَةِ عِزَّتِهِ عَنْ الوَلَدِ والشَّقِيقِ، ... فَمِنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ[4].

أَحْمَدُهُ حَمْداً أَسْتَمِدُّهُ بِهِ يَنَابِيعَ الآئِهِ، وأَشْكُرُهُ شُكْراً أَسْتَمْطِرُ بِهِ سَحَابَ[6] نِعْمَائِهِ.

وأَشْهَدُ أَلّا إِلَهَ إِلاّ اللهُ، شَهَادَةً يَسْلَمُ شَاهِدُهَا مِنْ اقْتِحَامِ المَهَالِكِ، وَيَنْدَمُ جَاحِدُهَا عِنْدَ انْسِدَادِ المَسَالِكِ.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الَّذِي أَخَذَ لَهُ الْعُهُوْدَ

«ومن يشرك». فاقتضى التنويه والتصحيح بحسب النص القرآني .

١. لا شكّ أنّ الشيخ حسين يعرف السطوة التي كانت من طباع السلطان سليمان، ومدى السيطرة التي كانت عليها دولته المترامية الأطراف كأكبر دولة في العالم في ذلك التاريخ. وصفته الرئيسية البطش حتى بأقرب الناس إليه وأخلصهم له «الصدر الأعظم ابراهيم باشا». عن صفات شخصية السلطان سليمان راجع كتب تاريخ الدولة العثمانية خصوصاً: يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، استانبول ١٩٨٨.

٢. في نسخة Chester Beatty: المتفضل .

٣. راجع: د.رشدي عليان: دليل العقل عند الشيعة الامامية.

٤. استعارة من الآية ٣١ من سورة الحج التي جاء فيها: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.

٥. في نسخة Chester Beatty: أستدرّ.

٦. في نسخة Chester Beatty: شآبيب.

www.noormags.ir

عَلَى مَوْضُوعَاتِ الْوُجُودِ، تَشْرِيفاً لَهُ وَتَعْظِيماً، وَرَقّى ذَاتَهُ الْمُقَدَّسَةِ إِلَى [١] حَضْرَةِ جَلَالِ قُدْسِهِ إِعْزَازاً لَهُ وَتَكْرِيماً، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلّمَ تَسْلِيمَا.

وَبَعْدُ، فَيَقُولُ أَفْقَرُ عِبَادِ اللهِ تَعَالَى إِلَى رَحْمَةِ رَبِهِ الْغَنِيُّ حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْحَارِثِيُّ الْهَمْدَانِيُّ (عَمَّهُ اللهُ بِغُفْرَانِهِ، وَأَسْكَنَهُ بُحْبُوحَةَ جِنَانِهِ):

إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ النَّمْلَةَ مَعَ وَهْنِ أَمْرِهَا، قَدْ أَهْدَتْ لِسُلَيْمَانِ عَصْرِهَا، مَا رَجَتْ أَنْ يَرْفَعَ بِهِ قَدْرَهَا، وَيَشُدَّ أَزْرَهَا، وَكَانَتْ هَدِيَّتُهَا نِصْفَ رِجْلِ جَرَادَةٍ [٢]، وَلَمْ يُسْتَنْكَرْ ذَلِكَ مِنْهَا فِي الْعَادَةِ، حَيْثُ لَا طَاقَةَ لَهَا عَلَى الزِّيَادَةِ. وَحَيْثُ إِنَّ الْهَدِيَّةَ عَلَى مِقْدَارِ مُهْدِيهَا، وَإِلَّا لَصَغُرَ عَنْ مِقْدَارِ سُلَيْمَانِهَا كَمَا صَغُرَ عَنْ مِقْدَارِ سُلَيْمَانِنَا [٣] الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

قلتُ: يَا وَيْلَتَا أَعَجِزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذِهِ النَّمْلَةِ؟ فَأُهْدِي لِسُلَيْمَانَ عَصْرِي مَا أُطِيقُ حَمْلَهُ، كَيْفَ وَقَبُولُ الْيَسِيرِ، لَمْ يَزَلْ مِنْ شِيَمِ ذَوِي الْقَدْرِ الْخَطِيرِ، وَفَتْحُ بَابِ الْأَعْذَارِ، لَمْ يَزَلْ مِنْ دَأْبِ الْأَبْرَارِ. وَلَمَّا فَكَّرْتُ فِيمَا أُهْدِيهِ، وَجَدْتُهُ مَقْصُوراً عَلَى مَا أُنْشِيهِ، فَأَجَلْتُ الْفِكْرَةَ عِنْدَ ذَلِكَ فِيهِ.

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ [٥]

لِيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

وَوَجَدْتُ سَلَفَنَا الْمَاضِينَ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ، قَدْ أَكْثَرُوا مِنَ التَّصْنِيفِ فِي كُلِّ الْعُلُومِ، مَعْقُولَاً وَمَنْقُولَاً، مُطَوَّلَاً وَمُخْتَصَراً، وَمُتَوَسِّطَاً مَتْنَاً وَشَرْحَاً، فَأَسْمَعُوا مَنْ كَانَ حَيّاً، وَأَغْنَوْا مَنْ بَعْدَهُمْ عَنْ تَجَشُّمِ ذَلِكَ، فَلَيْسَ لِمَنْ تَعَرَّضَ لِمُشَارَكَتِهِمْ فِيهِ إِلّا شَغْلُ الْبَالِ، وَتَكْثِيرُ الْقِيلِ وَالْقَالِ.

فَسَلَكْتُ فِي التَّأْلِيفِ نَهْجَاً نَافِعَاً بِفَضْلِ اللهِ لِمَنْ يَرُومُهُ، قَلِيلَ النَّظِيرِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْدومَهُ، وَوَضَعْتُ هَذَا الْكِتَابَ، مُشْتَمِلاً عَلَى نُبَذٍ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ [٦]، وَجَعَلْتُهُ مُتَعَمِّماً بِالْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، مُرْتَدَاً بِالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، مُتَوَشِّحَاً بِالْأَمْثَالِ الْبَلِيغَةِ الْحِكَمِيَّةِ، مُتَحَزِّمَاً بِالْمَوَاعِظِ الْفَائِقَةِ السَّنِيَّةِ، مُتَسَرْوِلاً بِالْأَبْيَاتِ الْفَصِيحَةِ الشِّعْرِيَّةِ، وَسَمَّيْتُهُ: نُورَ الْحَقِيقَةِ وَنَوْرَ الْحَدِيقَةِ [٧]، فَاللَّبِيبُ يَقْتَبِسُ مِنْ أَنْوَارِهِ، وَالْأَدِيبُ يَقْتَطِفُ مِنْ أَزْهَارِهِ.

---

١. في نسخة Chester Beatty: وجعل نفسه المقدسة في ... .

٢. رِجْلُ جَرَادٍ: يُقَالُ لِجَمَاعَةِ الْجَرَادِ... .

٣. يقصد السلطان العثماني سليمان القانوني، حيث كانت سلطته تمتد على مساحة بلاد الشام ومنها جبل عامل. والذي أخذ مقدمة خطابه من مقدمة خطاب النبي سليمان عليه السلام، فكان يبدأ رسائله وفق الآية ٣٠ من سورة النمل: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. ولا يستبعد بأنه كان يحلم بملك كملك النبي سليمان، ولهذا خاطبه الشيخ حسين بلغة التشبيه... .

٤. ويعلق دفن ستوارت Devin Stewart: بأن الشيخ حسين كان يعرف أن السلطان سليمان يستطيع سحقه إن لم يسايره. راجع: Devin Stewart: Husayn B. AbdAlsamad...Op cit, p١٧٥.

٥. هذا الشطر من الشعر مكتوب بشكل عمودي إلى يمين النص... وهو عنوان قصيدة مشهورة للمتنبي .

٦. من هنا أخذا الجزء الثاني من تسمية الكتاب: نُورَ الحَقِيقَةِ وَنَوْرَ الحَدِيقَةِ فِي العَقْلِ وَالعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ.

٧. والنَّوْرُ والنَّوْرَةُ، جَمِيعًا: الزَّهْر، وَقِيلَ: النَّوْرُ الأَبيض وَالزَّهْرُ الأَصفر،... والنُّورُ: حُسْنُ النَّبَاتِ وَطُولِهِ، وَجَمْعُهُ نِوَرَةٌ. ونَوَّرَتِ الشَّجَرَةُ وأَنارت أَيضاً أَي أَخرجت نَوْرَها. وأَنار النبتُ وأَنْوَرَ: ظَهَرَ وحَسُنَ. والأَنْوَرُ: الظَّاهِرُ الحُسْنِ؛ ومنه صِفَتِه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ أَنْوَرَ المُتَجَرَّدِ. لسان العرب، ج٥، ص٢٣٧ ـ ٢٤٤، مادة: نور.

ثُمَّ شَرَّفْتَهُ بِالحَضْرَةِ العَلِيَّةِ السُلَيْمَانِيَّةِ، حَضْرَةِ مُنِيرِ المِلَّةِ الحَنِيفِيَّةِ، حَضْرَةِ سُلْطَانِ سَلَاطِيْنِ العَرَبِ وَالعَجَمِ، مُبْزِغِ شَمْسِ الإِسْلَامِ وَالعَدْلِ عَلَى مَا أَحْدَثَ الْكُفْرُ وَالظُّلْمُ مِنَ الظُّلَمِ[١]. الجَامِعِ لِلْكَمَالَاتِ البَشَرِيَّةِ، المُؤَيَّدِ مِنْ رَبِّهِ بِالْأَلْطَافِ الإِلَهِيَّةِ، فَأَصْبَحَتِ الآفَاقُ مُعَطَّرَةً بِنَشْرِهِ، وَالْأَلْسُنُ مُشَرَّفَةً بِذِكْرِهِ.

الَّذِي قَدْ بَهَرَتِ الشَّمْسَ غُرَّتُه، وَتَجَاوَزَتِ الْأَفْلَاكَ هِمَّتُهُ، فَاسْتَخْدَمَ الدَّهْرَ عَزْمُهُ، وَأَدَّبَ الأَيَّامَ حَزْمُهُ.

الَّذِي قَدْ ذَبَّ عَنِ الدِّيْنِ حُسَامُهُ، وَعَمَّ جَمِيْعَ الأُمَّةِ إِنْعَامُهُ، فَالجِهَادُ فِي سَبِيْلِ اللهِ لَذَّتُهُ، وَبَذْلُ جَزِيْلِ النَّوَالِ بُغْيَتُهُ.

الذِي لَا يَصِلُ الشَّكُّ إِلَى سَرِيْرَتِهِ، وَلَا تَرْقُدُ عَنْ حِفْظِ الحَقِّ عَيْنُ بَصِيْرَتِهِ، فَنَفْسُهُ المُقَدَّسَةُ الْمَعِيَّةُ، وَسِيْرَتُهُ المَيْمُوْنَةُ مُحَمَّدِيَّةٌ.

إِنْ قَالَ: نَصَتَ الدَّهْرُ إِلَيهِ، أَوْ أَمْسَكَ تَظَاهَرَتِ السَّكِيْنَةُ عَلَيهِ، كَيْفَ لَا وَحَوَادِثُ الدَّهْرِ جُنُودُهُ، وَمُلُوْكُ الأَرْضِ عَبِيْدُهُ.

أَوْ نَهَضَ: أَشْغَلَ خَوَاطِرَ الأَيَّامِ بِسَطْوَتِهِ، وَضَعْضَعَ أَسِرَّةَ المُلُوْكِ بِهَيْبَتِهِ، فَهُمْ مَا بَيْنَ مُزْمِعٍ عَلَى الهَرَبِ، وَمُوْقِنٍ بِالْهَلَاكِ وَالْعَطَبِ.

أَوْ سَارَ: سَارَ الرُّعْبُ حَوْلَهُ، أَوْ قَالَ: سَبَقَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ، فَالْأَقْدَارُ جَارِيَةٌ عَلَى وِفْقِ إِرَادَاتِهِ، وَالبِحَارُ كَقَطْرَةٍ مِنْ قَطَرَاتِ هِبَاتِهِ.

طَلَبْتُ لَهُ مَدْحاً فَمَا مِنْ فَضِيْلَةٍ
تَأَمَّلْتُ إِلّا جَلّ عَنْهَا وَقَلَّتِ[٢]

السُّلْطَانُ سُلَيْمَانُ بْنُ السُّلْطَانِ سَلِيمُ بْنُ السُّلْطَانِ بَايَزِيْدُ بْنُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدُ بْنُ السُّلْطَانِ مُرَادُ.

أَسَامِيَاً لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً
وَإِنَّمَا لَذَّةً ذَكَرْنَاهَا[٣]

أُوْلَئِكَ الَّذِينَ شَيَّدُوْا دِيْنَ اللهِ بِجِهَادِهِم، وَأَحْيَوْا سُنَّةَ نَبِيِّهِ بِأَوَامِرِهِم وَنَوَاهِيْهِمْ وَأَوْرَادِهِم، وَأَخْلَصُوْا للهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعْمَالَهُمْ، فَبَذَلُوْا فِي سَبِيْلِهِ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَنَسَجَ سِرُّهُمْ بَعْدَهُمْ عَلَى مِنْوَالِهِمْ، وَاقْتَدَى بِهِمْ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ.

فَخَلَّدَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ عِزَّ دَوْلَتِهِ، وَبَلَّغَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ _ أَعْدَاءَ الدِّيْنِ _ فَوْقَ أُمْنِيَّتِهِ، وَحَرَسَ مِنَ الغِيَرِ سُلْطَانَهُ، وَقَرَنَ بِنَفَاذِ الْأَمْرِ فِي الْأَقَالِيمِ السَّبْعِ يَدَهُ وَلِسَانَهُ، لِيَدُوْمَ عَلَى أَهْلِ الإِيْمَانِ عُمُوْمُ التَّفَضُّلِ وَالعِزِّ وَالْأَمَانِ.

وَلَمَّا كَانَ لِكُلِّ مَخْلُوْقٍ فِي هَذَا الدُّعَاءِ حَظٌّ وَافِرٌ يَصِلُ إِلَيْهِ، كَانَ جَدِيْراً بِالحَكِيْمِ الكَرِيْمِ[٤] قَبُوْلُهُ، بَلْ وَالزِّيَادَةُ عَلَيْهِ، ﴿... إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٥].

---

١. لعلنا ندرك هنا سبب توجه الشيخ حسين بكتابه للسلطان سليمان، وهو الظلم اللاحق بشرائح اجتماعية ولربما يقصد الطائفة الشيعية... .

٢. محمد داوود قيصري رومي: شرح فصوص الحكم (لمحي الدين ابن عربي)، ص٦.

٣. هذا البيت أيضاً من قصيدة مشهورة للمتنبي يمدح فيها عضد الدولة مطلعها:

أوْهِ بديلَ مِنْ قولتي واها لمن نأت والبديل ذكراها

٤. في نسخة Chester Beatty: المتفضل .

٥. الإضافة في نسخة Chester Beatty. وردت الآية في ثلاث سور هي: سورة يوسف / ٩٨. وسورة القصص / ١٦. وسورة الزمر / ٥٣.

www.noormags.ir

ثُمَّ إِنّي تَحَرَّيْتُ فِي كِتَابِي هَذَا الاخْتِصَارَ عَلَى حَسَبِ الحَالِ، وَقَدرِ سَعَةِ الإِحْتِمَالِ، وَلَمْ أُطْلِقْ لِلقلَمِ العِقالَ، وَإِلّا لَقَالَ فِي هَذَا النَّحْوِ فَأَطَالَ، فَرُبَّمَا أَفْضَى إِلَى المَلَالِ فَالإِهْمَالِ.

وَهَا أَنَا أَسْتَمْنِحُ مِنْ كَرَمِ الجَوَادِ المُتَعَالِ، أَنْ يُسَهِّلَ لِي إِتْمَامَهُ عَلَى أَحْسَنِ الأَحْوَالِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ فِي حَيِّزِ القُبُوْلِ وَالإِقْبَالِ[1]، وَأَنْ يَجْعَلَنِي مِنْ أَهْلِ الفِعَالِ كَمَا جَعَلَنِي مِنْ أَهْلِ المَقَالِ، إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ المِفْضَالِ.

وَلِنَتَكَلَّمْ أَوّلاً عَلَى العَقْلِ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَخْلُوْقَاتِ اللهِ تَعَالَى وَأَصْلُ كُلِّ صَلَاحٍ وَفَلَاحٍ[2].

الوثيقة الثانية

مدخل

يتجلّى خطاب الشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي من خلال نصّ الرسالة التي رفعت إلى السلطان سليمان القانوني باسم الشاه طهماسب، في غمرة الصراع العثماني الصفوي كأكبر دولتين في ذلك التاريخ... والممتدّ بشكل ما منذ بدايات القرن السادس عشر.

هذا وإن اختصّت الرسالة بالرّدّ على طلب السلطان العثماني سليمان القانوني بتسليمه أولاده الذين التجأوا إلى جانب الشاه الصفوي طهماسب، لمّا أحسّوا بغضب أبيهم، ونيّته بقتلهم حيث كانت سابقة قتل أخيهم غير الشقيق وولده البكر ـ من زوجته الأُولى «ماه دوران» ـ وولي عهده الأمير مصطفى، بصورة مقزّزة تخفي خلفها نرجسية فاقعة في شخصية سليمان القانوني.

ولقد رثاه الشعراء، ولم يخشوا من بطش السلطان فقال بعضهم:

يا دهر ويحك ما أبقيت لي جلداً
وأنت والدُ سوءٍ تأكل الولدا

وإن كنّا نعرف أنّ وراء الجريمة كانت تقف زوجته الثانية ـ الجارية الروسية روكسلانه، ودميتها رستم باشا الذي أوصلته إلى الصدارة العظمى، وزوّجته وحيدتها ووحيدة السلطان ... ـ والتي كانت تطمح جامحة ـ وبكلّ الوسائل ـ لوصول أحد أبنائها إلى

١. في نسخة Chester Beatty سقطت الجملة بين: (أن يسهل ...والإقبال).

٢. مخطوطة جامعة Leiden، ص ص (٢ ـ ٩).

ولاحظ: عن خط الشيخ حسين بن عبد الصمد الذي كتب جواباً للسلطان سليمان لمّا أرسل يطلب أولاده من الشاه طهماسب لمّا هربوا إلى عنده. حيث يقول: «...فكتبت هذا الكتاب على لسان الشاه جوابا، وذلك سنة ٩٦٨ هـ/ ١٥٦٠ م، [أي بعد حوالي الثلاث سنوات من قتل الشهيد الثاني] ... لأنا لن نتمسك إلا بكتاب الله، والذين أمر الرسول بالتمسك بهم، فيا لنا فخرا يفوق كل فخار، فأنسابنا أنور من ليلة القدر... وجوهرنا من جوهر الشرف لا من جوهر الصدف، ويواقيتنا من يواقيت الأحرار لا من يواقيت الأحجار، لسنا بحمد الله في شك من الدين ،إنآ لعلى هدىً بيقين؛ وأي يقين، رأينا فيه ولله المنة سديد، وبأسنا شديد، وكيدنا عتيد لكل جبار عنيد وحينا سعيد، وقتيلنا شهيد وما عند الله خير للأبرار...»

ونعتقد أنّه في الجملة الأخيرة يشير لقضية الشهيد. راجع المكتوب في: السيد احمد الداماد: فضائل السادات، شركة المعارف والآثار. قم ١٣٨٠هـ. ص٤٢١و٤٢٢.

www.noormags.ir

السلطة. لكن المفارقة هي أنّ بايزيد الملتجئ إلى السلطنة الصفوية هو ابنها!؟....

يتبين من بين سطور الرسالة مكانة الشيخ حسين الفقهية، وموقفه الفكري والثقافي والعقائدي؛ وحتّى السياسي والاجتماعي، المتأتي من تجربة طويلة وقاسية على حد سواء. وهو القائل:

هاجرتُ عن وطني بقصد مزيةٍ
تحصيلها في موطني متعـذّرُ
وسعيتُ جهدي في اكتساب فضائلٍ
ودخلتُ نـاراً حرّها يتسـعّر
وضـربتُ لا من ذِلّة قدّمتـها
ضربـاً يَهدّ قواي إذ يتكـرّرُ
وصَبَرتُ صبرَ الموقنينَ تجلّداً
وتأسّـياً لأصيرَ شـيئاً يذكـرُ
وصرَفتُ عمري في طلاب أخي تقىً
لأكون خـادمه إذا يتطهّـرُ
وحفَظتُ ما استودعته ورددته
ردّ الأمين ولا أراني أُشـكرُ
وكتمتُ أسـرار الأحبّة مغضياً
عمّا جنوا وكذا المتيّم يَغفرُ
واصفرّ جسـمي من فراق أحبّتي
لكن تبيـضي لـه التـتبّرُ[1]
وإذا ضُربتُ أنِنُّ أنّـةَ مطرَب
كالمِسْكِ تسحقه الأكفّ فيعطرُ

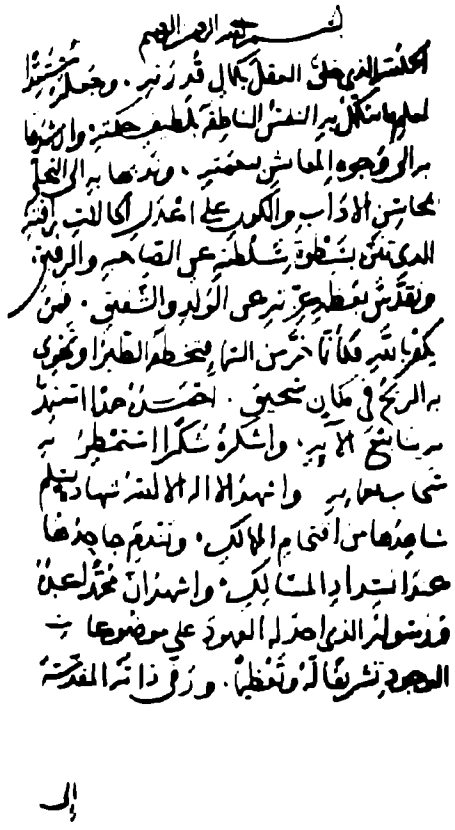

الصفحة الأولى من مقدمة نور الحقيقة
(نسخة جامعة Leiden)

١. التتبر: الهلاك.

www.noormags.ir

وأثرُّ ... لا لأجـــل تـــوجّـــعٍ
بل خشيةٍ من بعد ذا أن يهجرُ[1]

الظروف التاريخية ومسارات الأحداث

بعد حل وترحال، حط الرَّحل بالشهيد الثاني وجمعٌ من تلامذته في المدرسة النورية، بالمسجد الكبير في بعلبك عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م، إثر رحلته الشهيرة إلى عاصمة الدولة العثمانية اسطنبول عام ٩٥٢هـ/١٥٤٥م؛ وبرفقته الشيخ حسين بن عبد الصمد[2]، الذي كان قد مهّدَ لهذه الرحلة؛ بزيارة خاطفة في العام ٩٤٥هـ/١٥٣٩م.

كما بيّنت لنا الوثيقة الأُولى أعلاه في مقدمة كتابه نور الحقيقة ونَور الحديقة، والذي أعدّه ـ وبإشراف الشهيد الثاني أُستاذه ـ وقدّمه كهديّة للسلطان سليمان القانوني في اسطنبول. لكن المُقَام ـ في المدرسة النوريّة ـ لم يطل، إذ وقع خطب ما؛ وتفرق الجمع أيدي سبأ!؟.

أي خطب فرّق الجمع أيدي سبأ؟

لم تتّضح حقيقة الأمر بعد تحديداً، سوى ما بيّناه

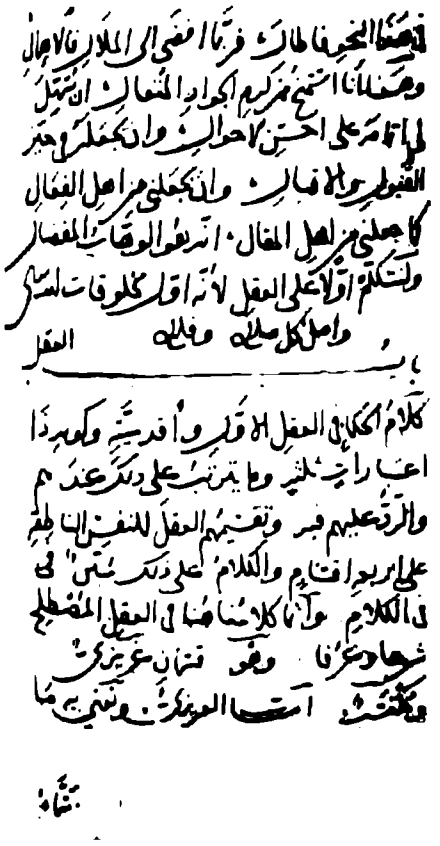

الصفحة الأخيرة من مقدمة نور الحقيقة
(نسخة جامعة Leiden)

١. وردت هذه الأبيات للشيخ حسين بن عبد الصمد في مجموع آخر في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي في طهران رقم ١٢٣١، ورقة ٢١١، . قدّمت: «للكاتب فقير رحمة ربه الغني حسين بن عبد الصمد الحارثي أصلح الله تعالى حاله بمحمد وآله الطاهرين». وذيلت: نقل تلك الأبيات بواسطة واحدة عن خط قائل هذه الأبيات وهو حسين بن عبد الصمد قدس الله سره العزيز. كما أورد الأبيات الأربعة الأولى منها موقع الفقيه العاملي www.alameleya.org، وموسوعة ويكيبيديا ar.wikipedia.org.

٢. في هذه الرحلة استحصل الشهيد الثاني على إذن التدريس في المدرسة النورية وإدارة أوقافها. راجع دراستنا: يوسف طباجة: الشهيد الثاني مسيرة نهوض ووحدة، دراسة مقدمة لمؤتر الشهيدين في بيروت. مجلة المنهاج، عدد ٦٢.

www.noormags.ir

اعتماداً على مخطوطة النهروالي، وهي التحقيق مع الشهيد الثاني الذي أجراه قاضي دمشق «حسن بك أفنديم[١] الذي تولّى قضاء دمشق للمرّة الأُولى عام ٩٥٩هـ/١٥٥٢م[٢]. والملاحظة التي لفت إليها أحد الباحثين الإيطاليين Marco Salati جديرة بالاهتمام، وهي أنّ الشهيد الثاني ترك بعلبك أثناء وجود السلطان سليمان في حلب[٣].

والحقيقة هي أنّ السلطان سليمان اعتاد النزول في حلب التي يحبها[٤]. ففي طريقه عائداً من حملته الهمايونية، حملة إيران الثانية (٩٥٥-٩٥٦هـ/١٥٤٨-١٥٤٩م) دخلها في ٢٣ شوال ٩٥٥هـ/ ٢٥ تشرين الثاني ١٥٤٨ م، حيث قضى الشتاء فيها... _ مكث البادشاه [ملك الملوك، وهو أحد القاب السلطان سليمان] في حلب مدة ٦ أشهر و١١ يوماً حتى ١٠ جمادي الأولى ٩٥٦هـ/ ٦ حزيران ١٥٤٩م _[٥]. وهي الفترة التي وقع فيها الخطب، وخرج الشهيد الثاني وتلامذته من بعلبك!؟....

وهنا نفترض أن عيون السلطان وأجهزته زودته بتقارير عن خطورة حراك الشهيد الثاني[٦]، فكانت الملاحقة التي خرج على إثرها من بعلبك عام ٩٥٥هـ/١٥٤٨ م؟

"... وهذا التاريخ كان خاتمة أوقات الأمان، والسلامة من الحدثان[٧] و[٨]....

واستمرّت الملاحقة... ويكشف لنا النهروالي عن التحقيق معه من قبل قاضي دمشق حسن بك _ على الأرجح في تعيينه الثاني قاضياً على دمشق ٩٦٣هـ/١٥٥٦م- ٩٦٤هـ/١٥٥٧ م _، الذي رأى: «أنّه كان فاضلاً مفنّناً وترضّى عن الصحابة، وأورد أحاديث شريفة في فضلهم وفي فضل الشيخين».

تأسيساً على ما تقدّم نقرّر بأنّ الحادثتين _ التحقيق، وإقامة السلطان في حلب _ منفصلتين زمنياً (أربع سنوات)، ولكن تلتقيان في سبب الملاحقة الواحد وهو التهمة بالتشيع أو الرفض[٩] بحسب ما أفصح النهروالي....

---

١. ترجمته: الغزي: الكواكب السائرة، ج٣، ص ١٢٦. طاشكُبْري زَادَهْ (المتوفى: ٩٦٨هـ): الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص ٤٤٤. المُولى حسن بك وَهُوَ من خدام الْوَزير الاعظم رستم باشا. و ص٤٨٧.

٢. يوسف طباجة: الشهيد الثاني مسيرة نهوض ووحدة، دراسة مقدمة لمؤتمر الشهيدين في بيروت. مجلة المنهاج، عدد ٦٢.

٣. Marco Salati, "Ricerche sulosciismo nell'Imperoottoman. P٣٨٣.

٤. جاء حلب في ٢٤ تشرين الثاني ١٥٣٥م، أثناء عودته من حملة العراقين (عراق العرب وعراق العجم)، بقي فيها ٨ أيام. ومكث في حلب مدة ٥ أشهر ويوم واحد من ٩٦٠/١٢/١هـ إلى ٩٦١/٥/٦هـ/ ١٥٥٣/١١/٨م إلى ١٥٥٤/٤/٩م، وهو في عودته من الحملة الهمايونية ١٢، وهي حملة إيران الثالثة ٩٦٠-٩٦٢هـ/ ١٥٥٣- ١٥٥٥م، يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، ج١، ص ص٣٣٩... ٣٤٦.

٥. يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، نفسه، ص٣٤٧.

٦. لاحظ عنوان الفصل المفقود من سيرة الشهيد لتلميذه ابن العودي: منية المريد في الكشف عن أحوال الشهيد، بعنوان : «في ذكر ما عرض له من الأخاويف، وما نزل به من الأراجيف، وما يتبع ذلك من التستر وإخفاء نفسه من النازلات من الأعداء وأهل السعايات، وما وقع في خلال ذلك بيننا وبينه من المراسلات». ضمن: الدر المنثور من المأثور وغير المأثور، لسبط الشهيد الثاني علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين العاملي. طبعة إيران ٢٠١٢م،ج٢،ص ٦١٤.

٧. وحَدَثَانُ الدَّهْرِ: صروفه ونوائبه،وحَوادِثُه: نُوَبُه، وَمَا يَحْدُث مِنْهُ. واحدُها حادِثٌ، والحَدَثُ مِنْ أَحْداثِ الدَّهْرِ: شِبْهُ النَّازِلَةِ. والأَحْداثُ: الأَمْطارُ الحادثةُ فِي أَوّل السَّنَةِ.

٨. الدر المنثور، ج٢، ص ٦٤٤.

٩. هي التهمة القاتلة لكل معارض أو موال لأهل البيت عليهم السلام في الدولة العثمانية، هكذا كانت خلفية التخلص من الأمير مصطفى ولي عهد السلطان سليمان،وتطالعك الكثير من مثل هذه التهم وأنت تستعرض تاريخ الدولة العثمانية، ومنها على سبيل المثال ما جاء في الشقائق النعمانية، ص ١٦٩: «المُولى لطف الله التوقاتي الشهير بمولانا لطفي...كَانَ

والد الشيخ البهائي يكاتب السلطان العثماني سليمان القانوني

على ما يتّضح بأنّ الشهيد وتلامذته خصوصاً الشيخ حسين، قرّرا الحلول في منطقة بعلبك عن سابق إصرار وتصميم؛ وخطّة تندرج ضمن المشروع النهضوي العام الذي كان يسعى له الشهيد الثاني، والسبب بحسب ما يتبيّن لنا وهو: أنّ منطقة بعلبك / الهرمل هي منطقة شيعية بالإجمال، فقيرة ـ ولا زالت ـ نظراً لمناخها شبه الصحراوي، الذي يشتدّ كلّما توجّهنا شمالاً نحو الهرمل...فهو حارّ صيفاً وبارد شتاء.

فتكاد تنعدم سبل الزراعة ـ الحراثة وتربية الماشية ـ رغم توفّر المياه، فيؤثّر ذلك ليس على الوضع المعيشي فقط؛ بل ينسحب على الوضع الاجتماعي، وأهمّهُ قضيّة التعلّم والتعليم التي تكاد تكون معدومة... .

وهذا ما نلاحظه في عدّة وثائق صادرة عن أهل تلك المنطقة وعن زعمائها[1]، ومنها مثلا وثيقة (جبالة ٩٦٠هـ) التي تبيّن مدى الحاجة لتعلم الكتابة[2]، ومدونة تاريخ قرية حراجل [3]... حقيقة هذه الصورة تختلف في جبل عامل ـ جبل العلم والعلماء[4] ـ وإهراء جبل لبنان [5]، رغم قساوة المعاملة من قبل الولاة العثمانيين... .

رَحمَه الله فَاضلاً لَا يجارى، وعالماً لَا يُبَارى، وَكَانَ يُطِيل لِسَانه على أقرانه وعَلى السّلف أيضاً، ولكثرة فضائله حسده أقرانه، ولاطالة لِسَانه أبغضه الْعلمَاء الْعِظَام وَلِهَذَا نسبوه إلى الإلحاد والزندقة [التشيع] حَتَّى فتشوه وَلم يحكم الْمولى افضل الدّين باباحة دَمه وَتوقف فِيهِ وَحكم الْمولى خطيب زَاده باباحة دمة فَقَتَلُوهُ ... وَلَقد سمعنَا ممَّن حضر قَتله أنه كَانَ يُكَرر كلمة الشَّهَادَة ونزّه عقيدته عَمَّا نسبوها إليه من الالحاد حَتَّى قيل إنّه تكلّم بِكَلِمَة الشَّهَادَة بعد مَا سقط رَأسه على الأرض... قَالَ وَحكى يَوْمًا وَهُوَ يبكي أن عَليّ بن ابي طَالب رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ ضرب فِي بعض الْغَزَوَات بِسَهْم فَبَقِي نصله فِي بدنه فجزع عِنْد قصد إخراجه، فصبروا حَتَّى اشْتغل بِالصَّلَاةِ فأخرجوه، وَلم يحس بذلك.

قَالَ عمّي: وَقد حكى الْمولى لطفي هَذِه الْحِكَايَة، ثمَّ قَالَ وَهُوَ يبكي: هَذِه هِيَ الصَّلَاة حَقِيقَة، وأمّا صَلَاتنَا فَهِيَ قيام وَانْحِنَاء، فَلَا فَائِدَة فِيهَا.

قَالَ عمّي رَحمَه الله تَعَالَى: احْلف بِالله تَعَالَى إنّي سَمِعت هَذِه الْحِكَايَة مِنْهُ على هَذَا الْوَجْه، قَالَ: وَحين أخذوا الْمولى الْمَذْكُور شهد شُرَكَاء الدَّرْس عَلَيْهِ بأنّه قَالَ: الصَّلَاة قيام وَانْحِنَاء لَا عِبْرَة بهَا، قَالَ عمي رَحمَه الله تَعَالَى: انْظُرُوا أيْنَ مَا قَالَه مِمَّا شهدُوا بِهِ عَلَيْهِ. رُوِيَ أنّ الشَّيْخ الْعَارِف بالله تَعَالَى الشَّيْخ محيي الدّين القوجوي لما سمع قَتله، قَالَ: إنّي أشْهَدُ بَأن الْمولى الْمَذْكُور بَرِيء من الإلحاد والزندقة، وَكَانَ يلبس الألبسة الرَّديئَة، وَكَانَ يركب دَابَّته وَيَجِيء إلى الْمدرسَة... وَمن نوادره العجيبة أنّه كَانَ على جبل بروسه حِين كَانَ مدرساً بهَا ...[الظاهر أنّه كان عرفانياً] وَله أمثال هَذَا عجائب ونوادر لَا يسع ذكرهَا هَذَا الْمُخْتَصر وَفِي الْمثل القطرة تنبىء عَن الغدير...». وفي الكواكب السائرة للغزي، ج١، ص٣٠٢: «... وقيل في تاريخه: ولقد مات شهيداً».

١. كان يتولى منطقة بعلبك في تلك الحقبة الأمير علي بن موسى الحرفوشي (١٥٣٤ ـ ١٥٩٠ م) المترجم له الغزي في الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ج٣، ص١٧٤. علي بن موسى الأمير ابن الأمير ابن الحرفوش أمير بعلبك...ضربت عنقه داخل قلعة دمشق بعد صلاة العشاء ليلة السبت ثاني عشر المحرم سنة تسع وتسعين وتسعمئة (١٠ تشرين الثاني ١٥٩٠م)، وأرسل رأسه إلى التخت السلطاني، ودفن جسده بباب الفراديس»!؟. يقول الباحث سعدون حماده: تاريخ الشيعة في لبنان، ج١، ص٢٦١. «وقد تم قتله بدسيسة الأمير فخر الدين المعني».

ما نود قوله هو أن رتبة «أمير» لم يحزها أحد من العامليين، وأنّ الحرافشة هم الوحيدون من الشيعة الذين كانت لهم هذه الرتبة الإقطاعية، رغم ذلك وكل ما حصل لم نجد إلى الآن أي دور للأمير علي ...؟. علماً أنّ شيئاً ما خطط له لضرب إمارة بني حرفوش، الذين تعاونوا مع العلماء العامليين لتوسيع إمارتهم لتشمل جبل عامل، فكانت معركة عنجر التي أدت إلى كسر إمارة الحرافشة الذين نجد منهم من أصبح مسيحياً ...؟ وهذا بحث أعددناه وسننشره قريباً إن شاء الله.

٢. راجع الوثيقة: سعدون حماده: تاريخ الشيعة في لبنان، ج١، ص١٨٠.

٣. عن الكتاب راجع: سعدون حماده: تاريخ الشيعة في لبنان، ج٢، ص٣٣٨. وعن الأمية والانحطاط في الدولة العثمانية راجع: محمد كرد علي: خطط الشام، ج٣. ويلماز: تاريخ الدولة العثمانية، ج١. وفي: سلاطين بني عثمان، ص ٢٦: «كان الأتراك في الأرياف لا يعرفون القراءة، ولا يعرفون أحيانا اسم السلطان».

٤. أنظر: الحر العاملي: أمل الآمل في علماء جبل عامل. ومستدركاته العديدة. والعجيب أنّ الحر العاملي أدخل بعض علماء البقاع في علماء جبل عامل، وأدخل كرك نوح في بلدات جبل عامل ... ولعله اعتباراً للعاملية الثقافية والمعرفية... .

٥. تمارا الشلبي: شيعة جبل عامل ونشوء الدولة اللبنانية، دار النهار، بيروت ٢٠١٠، ص ٦٦.

www.noormags.ir

والد الشيخ البهائي يكاتب السلطان العثماني سليمان القانوني

هذا الواقع الذي يبدو أنّ الشهيد كان يسعى لتحسينه؛ ولعلّه كان يود التواصل والإتصال مع جبل عامل كمدى حيوي لمشروعه الثقافي بالدرجة الأُولى، والنهضوي لا شكّ. فكان اختياره لبعلبك والمدرسة النوريّة... .

فذات يوم من شتاء أو ربيع العام ٩٥٦هـ/١٥٤٩م [١]، أسرع الشيخ حسين بن عبد الصمد الرحيل من بعلبك، متسلِّلاً عن طريق الهرمل، وجهته العراق كربلاء [٢]. بينما عاد أُستاذه الشهيد الثاني إلى موطنه؛ مؤثراً البقاء فيه؛ تماماً كما فعل الشهيد الأوّل المؤسّس للمشروع، ليتخفّى بين بلدته جبع وجزّين في جبالها وأوديتها وبيوتها سراً، حيث بقي طيلة تسع سنوات تقريباً (٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م ...٩٦٤هـ/١٥٥٧م) [٣]، أنجز فيها أغلب نتاجه العلمي، وعلى هذه الحال لم يتوقّف عن التدريس وإجازة تلاميذه... الذين فرّقتهم الأقدار إن لم نقل الملاحقات، وكانت وجهة أغلبهم العراق ثمّ إيران... .

وهنا تزدحم عدّة إشارات عن مدى استمراريّة ملاحقة المشروع النهضوي وقيادته المتمثّلة بالشهيد الثاني وتلامذته وأخصّهم الشيخ حسين بن عبد الصمد الذي خرج من العراق في شتاء / محرم ٩٦١ هـ/ كانون الأوّل ١٥٥٣م، وانفصل عن العراق في أربعين الإمام الحسين أي: ٢٠ صفر ٩٦١ هـ/ ٢٥ كانون الثاني ١٥٥٤م _كما خرج النبي موسى من مصر خائفاً يترقب [٤]. وهي الفترة التي كان فيها السلطان سليمان أثناء حملته الثالثة على إيران في حلب [٥] _كما فعل قبل خمس سنوات أثناء حملته الثانية على إيران وتم خروج الشهيد الثاني وتلامذته من بعلبك (راجع أعلاه) _

١. بات من الثابت لنا أنّ الشهيد الثاني خرج من بعلبك آخر العام ٩٥٥هـ، ومن الثابت لنا أيضاً خروج الشيخ حسين إلى العراق في هذا التاريخ (٩٥٦هـ/١٥٤٩م)، وعليه نحن أمام فرضيّتين حول التارخين المختلفين:
الأُولى: أنّ الشهيد الثاني ترك الشيخ حسين في بعلبك ... وهذا أمر نستبعده.
أما الثانية: فهي أنّ الشيخ حسين خرج مع الشهيد؛ وفي بلدهما جبع تمّ اتّخاذ القرار فخرج الشيخ حسين «بمهمة انتدبه إليها أُستاذه» متخفياً إلى العراق عن طريق الهرمل... .

٢. راجع تحقيقنا ودراستنا لمخطوط: الرحلة العراقية (مضمون رسالة الشيخ حسين عبد الصمد إلى استاذه الشهيد الثاني)، مجلة كتاب شيعة، عدد ٣، ص ٤٧، ومجلة المنهاج، عدد٦٨، ص ١٣١.
ونود الإشارة هنا إلى أنّ الدولة العثمانية سيطرت على العراق أثناء: «الحملة الهمايونية السادسة، وهي الحملة الأولى على إيران٩٣٩-٩٤١هـ/ ١٥٣٣-١٥٣٥م، وعرفت بحملة العراقين: العراق العربي والعراق العجمي، وهي أشهر حملات السلطان سليمان، وفيها انتقلت مدينتي الشيعة المقدستين: كربلاء والنجف لحوزة العثمانيين». يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، ج١، ص ٣٤١.

٣. بحسب ابن العودي: بغية المريد في الكشف عن أحوال الشهيد، ص ٦٤٤. يصرّح الشهيد أنّه خرج من بعلبك عام ٩٥٥هـ، ونحن نقول أواخر هذا العام بحسب تتبعنا ... .

٤. وهنا أود تسجيل ملاحظة بناء على مشهدية خروج الشيخ حسين من بعلبك، ثم بلاد الشام مهاجراً دون التفكير حتى بالعودة إلى بلاد الشام، والملاحظة هي أن الشيخ حسين كان مطلوباً للسلطة العثمانية تحديداً ... ربما لأنه كان الأكثر حراكاً (اسطنبول... حلب...) ...أو أنّ الشهيد اختاره بالفعل سفيراً للمشروع في العراق ثم إيران. ودلالة ذلك الطلب منه الكتابة له وإطلاعه على كل ما يحدث ويحصل له... .

٥. ربما تؤشر محاورة الشيخ حسين لأحد علماء حلب على أنه كان معروفاً فيها كأحد فقهاء الشيعة. راجع مضمون مناظرة جرت بينه وبين أحد فضلاء حلب سنة ٩٥١هـ، التي أوردها السيّد محسن الأمين ضمن ترجمة الشيخ حسين في أعيان الشيعة، ج٦، ص ٦١.
«وتدل هذه المناظرة على أنّ المترجم كان لا يترك التجوال في البلاد للهداية والارشاد ويستصحب معه الكتب ويرحل إلى حلب وغيرها التي تبعد عن وطنه مسيرة أيام وها أنا أنقل هنا أكثر تلك الرسالة قال فيها: هذه صورة بحث وقع لهذا الفقير إلى رحمة ربه الغني حسين بن عبد الصمد الجباعي في حلب سنة ٩٥١ أضافني بعض فضلائها وكان ذكياً بحاثاً وكان لي معه خصوصية وصداقة وكيدة بحيث لا أتقيه وكان أبوه من أعيان حلب. فقلت له: إنّه يقبح بمثلي ومثلك بعد أن صرف كل منا عمره في تحصيل العلوم الاسلامية وتحقيق مقدماتها...».

والد الشيخ البهائي يكاتب السلطان العثماني سليمان القانوني

وقضى فيها الشتاء من ١ ذي الحجة ٩٦٠هـ/ ٨ تشرين الثاني ١٥٥٣م [١] _ ٦ جمادى الأولى ٩٦١ هـ/ ٩ نيسان ١٥٥٤م، أي خمسة أشهر ويوم.

بعدها تمّ التوقيع على معاهدة أماسيا ٨ رجب ٩٦٢هـ/ ٢٩ أيار ١٥٥٥م، والتي بموجبها ألحق العراق بالدولة العثمانية[٢]، وهدأت الحروب بين الدولتين ما يقارب ثلاثة وعشرون سنة [٣].

أيضا لا بد من التوقّف عند حسن بك «وَهُوَ من خدام الْوَزِير الاعظم رستم»[٤]، والذي تولّى منصب قاضي بغداد عام ٩٦١ هـ/ ١٥٥٤م، آتيا من دمشق...؟؟.

وهو الذي حقّق مع الشهيد وأطلقه ثم طلبه ولم يعثر عليه إلا في مكة حيث اعتقله وأرسله مخفوراً إلى ربيبه رستم باشا الذي قطع رأسه في اسطنبول.

... وصل الشيخ حسين إلى إيران عام ٩٦١ هـ/١٥٥٤م وسكن أصفهان، وأقام فيها ثلاثة وعشرون عاماً حتى العام ٩٨٣هـ/ متنقلاً بين مدنها على الشكل التالي:

- **ثلاثة أعوام في أصفهان: إلى أوائل العام ٩٦٤هـ/١٥٥٦م.**
- **سبعة أعوام في قزوين (عاصمة الدولة الصفوية): من أوائل العام ٩٦٤هـ/١٥٥٦م، إلى أوائل العام ٩٧١ هـ/١٥٦٣م[٥].**
- **خمسة أعوام في مشهد: من أوائل العام ٩٧١ هـ/ ١٥٦٣م، إلى العام ٩٧٥هـ/١٥٦٧م.**
- **ثمانية أعوام في هرات: من العام ٩٧٥هـ/١٥٦٧م، إلى ما قبل ذي الحجة من العام ٩٨٣هـ/١٥٧٦م.**

وصل الشيخ حسين في هذه الأعوام إلى منصب شيخ الإسلام في الدولة الصفوية، وبتكليف من الشاه طهماسب الذي أصبح مقرّباً منه. وما يهمنا هنا هو أن الوثيقة التي هي موضوع تحقيقنا والدراسة هي: أن الشاه كلّف الشيخ حسين الرّد على السلطان سليمان عندما طلب تسليمه أولاده الذين هربوا إلى إيران خوفاً منه، بعد قتله لولده البكر وولي عهده مصطفى شنقاً... وهي الفترة التي اعتقل فيها الشهيد الثاني في مكّة، وسيق إلى اسطنبول وقتل فيها (٨ شعبان ٩٦٥هـ/ ٢٦ أيار ١٥٥٨ م)، كل هذا بتدبير من رستم باشا دون أن نستبعد رأي السلطان سليمان... .

في هذا النص الوثيقة: المقابل لنص الوثيقة الأُولى، يقف الشيخ حسين موقفاً آخر. ففي الوثيقة الأُولى (مقدّمة نور الحقيقة ونور الحديقة) كان خطاب الشيخ حسين _ الفقيه المتظاهر بالشافعية «تقية» والمنتسب إلى همدان _ للسلطان سليمان فيه من التبجيل والخضوع والمسايرة والموالاة، والذي كان من خلفه ينشد الشيخ حسين التعرف على السلطان سليمان وفتح باب العلاقات مع الباب العالي المركز الأساسي للسلطة، ربما كانت _ باعتقاده واعتقاد أُستاذه الشهيد الثاني _ تؤدّي إلى تأمين مظلة

---

١. أثناء إقامة السلطان في حلب خُنق ابنه البكروولي عهده مصطفى (في ٢٩ ذي القعدة ٩٦٠هـ/٦ تشرين الثاني ١٥٥٣م)، ومات أخوه جهانگير حَنَقاً عليه بعد ٢١ يوم، وكان مع أبيه في حلب (في ٢٠ ذي الحجة ٩٦٠هـ/ ٢٧ تشرين الثاني ١٥٥٣م)!!.

٢. تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ٣٤٧.

٣. تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ٣٤٧.

٤. الغزي: الكواكب السائرة، ج٣، ص١٧٣.

٥. أثناءها اعتقل وقتل الشهيد الثاني ٨ شعبان ٩٦٥هـ، وكتب الشيخ حسين هذه الرسالة الوثيقة باسم الشاه طهماسب ٩٦٨هـ

www.noormags.ir

سياسية لمشروعهم النهضوي ـ الثقافي والمعرفي ـ الوحدوي والمنفتح على كافّة المذاهب الإسلامية، وتفضي إلى رفع الحيف والغبن والمظالم التي كان يعاني منها الشيعة في بلاد الشام. علماً أنّ المقدّمة ونص نور الحقيقة، لا يغيب فيها عن القارئ الفطن بين سطورها روح التشيع الساكنة في أبواب وفصول ومقاطع، لا بل في جمل ومصطلحات نور الحقيقة... لكن الخطّة فشلت على أرض الشام وحصل ما حصل من تداعيات بقتل زعيم المشروع وتفرّق تلامذته، تماماً كما سقط مؤسس المشروع الشهيد الأوّل... .

أما الخطاب في الوثيقة الثانية فيظهر الشيخ حسين كفقيه شيعي كبير ـ وهو شيخ الإسلام في قزوين عاصمة الدولة الصفوية ـ وانتماءه وولاءه لأهل البيت عليهم السلام، من خلال الحشد الكبير للآيات القرآنية، حيث يمكننا القول أنّ الخطاب الموجه للسلطان سليمان كان نصّاً قرآنياً بامتياز، أدخل عليه الشيخ حسين وببراعته المنهجية والفقهية الأحاديث النبوية المسندة ـ من صحاح أهل السنة ـ بالآيات القرآنية على الأحقية الشرعية لأهل بيت النبوّة عليهم السلام، وهذا الأمر لم يكن مباشراً في الوثيقة الأولى، كما قدمنا أعلاه.

صحيح أنّ الكتاب باسم الشاه طهماسب، لكن المحتوى أيديولوجي/ ثقافي مركب، نعتقد أنه لم يكن موجّهاً للسلطان سليمان بشخصه، بقدر ما هو موجه لفقهاء السلطان من حوله: حسن بك[1] وأبي السعود كحجّة عليهم، كون الصراع العثماني الصفوي لم يكن سوى صراع سياسي بالتأكيد وليس ديني، هدرت فيه مقدرات الدولتين... .

وهذه هي علّة تفكّك المجتمع الاسلامي منذ الأُمويين والملك العضوض، إن لم نقل منذ سقيفة بني ساعدة، ولا زال هذا الانقسام إلى اليوم تشده عصبيّات لا تتّصل بالدين بأيّة صلة سوى استنزاف المقدرات والمقومات التي يمكن أن تؤدّي إلى قيام أهم وحدة اقتصادية واجتماعية وثقافية لما لتراثنا من غنى هائل بحاجة لتفعيل... .

هذا وجاءَ نَصُّ المَخْطُوطِ الحَرْفِي عَلَى النَّحْوِ التَّالي:

هَذَا البَابُ كَتَبَهُ [الشيخُ حُسَينُ بنُ عَبْدِ الصَّمَدِ] عَلَى لِسَانِ الشَّاهِ (أدامَ بَصَرَهُ) جَوَاباً عن كِتابَةِ السُّلطان [العثماني] سُليمان [القانوني] في طَلَبِ أولادِهِ، فأرسلَ الشَّاه [طهماسب] رَسولاً وأرْسَلَ مَعَهُ هَذَا الجَوابَ، وأرْسَلَ مَعَهُ جواباً آخرَ فارسياً[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ ﴿... الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ

١. الذي ولي قضاء القسطنطينية (اسطنبول)، ثمّ قضاء العسكر. راجع ترجمته: الغزي: الكواكب السائرة، ج٣، ص١٢٦. طاشْكُبْري زَادَهْ: الشقائق النعمانيّه في علماء الدوله العثمانيّه، ص ٤٨٧.

٢. في كتاب فضائل السادات قدّمَ السيد احمد الداماد الكتاب بلسان الشيخ حسين بالتالي: «هذا جواب كتابة السلطان سليمان لمّا أرسل يطلب أولاده من الشاه طهماسب أدام الله نصره وتأييده، لمّا هربوا إلى عنده، فكتبت هذا الكتاب على لسان الشاه جواباً عن كتابه وذلك سنة ثمان وستين وتسع مائة [٩٦٨هـ] أحسن الله تقضيها». راجع: السيد احمد الداماد: فضائل السادات، شركة المعارف والآثار. قم ١٣٨٠هـ. ص٤٢١ و٤٢٢.

والد الشيخ البهائي
يكاتب السلطان
العثماني سليمان
القانوني

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[١]، المُخاطبُ بِمَا ﴿[وَمَا] أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٢]، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾[٣]. ذلكَ جَدّنا[٤] سَيّدَ الأولينَ والآخِرينَ صَلواتُ اللهِ وسَلامُهُ عليهِ، صَلاةً وسَلاماً دائمينِ بدوامِ الأعْصَارِ.

وَعَلَى أبينَا عليٍّ أميرِ المؤمنينَ، أخِي النبيِّ[٥]، وابنُ عمّهِ، وَوَصيّهِ، ووليّ المُؤمنينَ بِنَصّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٦]، إنّ في ذَلِكَ لآيةً وذِكرَى لأُولِي الأبْصَارِ[٧]. بابُ مدينةِ العِلمِ[٨]، ومحبوبِ اللهِ، ومحبوبِ رَسولِهِ ومَمْدوحِهِمَا، ومَولَى مَنْ كانَ النبيّ مَولاهُ كَمَا شَهِدَت بِهِ الأخْبَارُ.

وَعَلَى أُمِّنَا سَيّدةِ النِّسَاءِ فاطِمَةَ الزّهْرَاءِ، المَغْصُوبَةِ

---

١. التوبة / ٣٣، الصف / ٩. المحذوف اسم الإشارة: هو. وجاء الحذف لوجود الأصل بداية.

٢. الأنبياء / ١٠٧.

٣. الفتح / ٢٩.

٤. إشارة إلى انتساب الشاه طهماسب إلى آل البيت... لذلك قال: بأن رسول الله ﷺ هو جده، وعلي عليه السلام أبوه، والسيدة الزهراء عليها السلام أمه، وخديجة الكبرى عليها السلام أولى زوجات النبي، وأم فاطمة عليها السلام هي جدته. راجع سلسلة النسب التي تنتهي إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام، في ترجمة الشاه اسماعيل الأول (ت٩٣٠هـ) والد الشاه طهماسب في: الأمين: أعيان الشيعة، م٣، ص ٣٢١.

وورد في مستدرك الوسائل ج١٧، ص١٦٨. وبحار الأنوار ج٢٥، ص٢٤٩. عن عمربن الخطاب أنه سمع النبي محمد ﷺ يقول: «كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة ما خلا حسبي ونسبي وكل بني انثى عصبتهم لابيهم ما خلا بني فاطمة فإني أنا أبوهم وأنا عصبتهم». والكل يعلم أن نسب الرسول انحصر بابنته السيدة الزهراء عليها السلام، كون أولاده الذكور توفوا قبل الزواج، أما البنات فلم ينجبن سوى السيدة الزهراء، وهنا يوضح المفسرون قول الرسول ﷺ: حسين مني وأنا من حسين... .

ولعلّ الشيخ حسين أراد الإشارة إلى هذا الحديث المتواتر: «كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْقَطِعُ، إِلَّا سَبَبِي وَنَسَبِي» راجع: المصنف، ج٦، ص١٦٣. لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ)، «وإن الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري». راجع: الشريعة، ج٥، ص٢١٠٥ وص ٢٢٢٧ وص ٢٢٣٢. لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت ٣٦٠هـ). وراجع: المعجم الكبير، ج٥، ص٣٧٦. المعجم الوسيط، ج٦، ص٣٥٧. للطبراني (ت ٣٦٠هـ). وغيرهم كثر في صيغ أخرى... .

وورد في تفسير الدر المنثور وابن كثير عند تفسير الآية: <فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ> المؤمنون / ١٠١. وفي تفسير الميزان. وهذا من باب التفاخر بهذا النسب العظيم، وبالتالي بداية إلقاء الحجة على المخاطب: السلطان سليمان... ونسبه.

٥. يوم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة:
بحسب نصّ السيرة لابن هشام: «... وَآخَى رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ والأنصار فَقَالَ ـ فِيمَا بَلَغَنَا، وَنَعُوذُ بِاللهِ أَنْ نَقُولَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ ـ: «تآخَوْا فِي اللهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: هَذَا أَخِي. فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامَ الْمُتَّقِينَ، وَرَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ خَطِيرٌ وَلَا نَظِيرٌ مِنْ الْعِبَادِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَخَوَيْنِ، وَكَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَسَدُ اللهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ ـ وَعَمُّ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ ـ ...».

٦. المائدة / ٥٥. وهذه الآية نزلت بحق الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، يوم تصدق بخاتمه وهو يصلّي خلف رسول الله ﷺ. راجع التفاصيل في كافة التفاسير، ومنها على سبيل المثال: تفسير الطبري، الكشاف للزمخشري، وتفسير الراغب الأصفهاني، وتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير، ج٣، ص١٣٨.

٧. مستوحاة من الآية ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾. آل عمران / ١٣. و النور / ٤٤.

٨. سنداً لحديث النبي ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها. راجع: من حديث خيثمة (ت ٣٤٣هـ) ص ٢٠٠. أبوبكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت ٣٦٠هـ) الشريعة، ج٤، ص ٢٠٦٨. الطبراني (ت ٣٦٠هـ) المعجم الكبير، ج١١، ص٦٥. ابن المقرئ (ت ٣٨١هـ) المعجم لابن المقرئ، ص ٨٤. ابن البيع (ت٤٠٥هـ) المستدرك على الصحيحين، مراراً. ابن المغازلي (ت ٤٨٣هـ) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مراراً... .

www.noormags.ir

حَقِّهَا جَهْرَاً[١]، المَدفونةِ لِغَضَبِها عَلَى غاصِبيها سِرّاً[٢]، بَعْدَمَا سَمِعُوا [أَبِيْهَا ﷺ يَقُول:] فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنّي؛ مَنْ آذاهَا فَقَدْ آذانِي [٣]،﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ..﴾[٤]، ﴿... أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[٥].فيَا لَهَا عِبْرَةً لِذَوِي الإعتِبَار.

وَعَلَى جدّتِنَا خَدِيجَة الكُبْرَى ذاتَ الفَضْلِ عَلَى نِسَاءِ الأنَامِ، الفَايِقَةِ بِالفَوْزِ بِشَرَفِ السَّبْقِ إلى الإسلامِ، ورِضَى النبيّ المُخْتَار.

وَعَلَى آبَائِنا المُطَهّرِينَ[٦] بِنَصِّ الكِتابِ،﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ٢٢ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ٢٣ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٧].

وعلى المُتَمَسِّكينَ بِكِتابِ اللهِ وعِتْرَةِ النبيّ، أَهْلِ بَيْتِهِ الّذينَ جَاءَ النّصُ الصّحِيحُ: إنّ المُتَمَسِّك بِهِمَا لن يضلّ أبداً[٨]،﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ[شَكُورٍ]﴾[٩]، أولئك نَحْنُ؛ أعْنِي (أَبْنَاءَ)[١٠] أهلِ البيتِ وشِيعتُهُم، لأنّا لَنْ نَتَمَسّكَ إلّا بِكِتابِ اللهِ، والّذينَ أمَرَ الرَّسُولُ بالتمَسُّكِ بِهِم.

فيالَهُ[١١] فَخْراً يَفوقُ كُلَّ فَخَارٍ، فأنسَابنا أنْوَرمِنْ ليلةِ القَدْرِ[١٢]،

---

١. يؤشر الشيخ حسين بلسان الشاه طهماسب إلى قضية المظالم التي وقعت على السيدة الزهراء ﷺ، من دخول بيتها عنوة وإصابتها ... إلى أمر البيعة ... إلى غصب إرثها في فدك... لمزيد من التفاصيل راجع مثلا: القزويني: فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد. محمد بيومي: السيدة فاطمة الزهراء. عبدالزهراء عثمان محمد: الزهراء فاطمة بنت محمد ﷺ. السيد علي الميلاني: مظلومية الزهراء ﷺ. الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ): المستدرك على الصحيحين. الشيخ محمد بن الفتال النيسابوري (الشهيد في سنة ٥٠٨ هـ): روضة الواعظين... .

٢. إشارة إلى أن السيدة الزهراء دفنت سراً، ولا يعرف لها ضريح بالتحديد بناء على وصية منها لزوجها الإمام علي ﷺ، لئلّا يغفر الله لمن أغضبها عند حضور جنازتها كما أخبرها أبيها رسول الله عليه وعليها وعلى بعلها وبنيها والتسعة المعصومين من بنيها أطيب الصلاة وأفضل التسليم.
راجع تفاصيل في: بحار الأنوار، ج٤٣، ص ١٧١ وما يليها. والفتال النيسابوري: روضة الواعظين، ص ١٥٠. محمد بن جرير الطبري (توفي في القرن الخامس الهجري): دلائل الإمامة. ص ٦٥ وما يليها... .

٣. حديث مجمع عليه:مثلا: ابن حنبل (ت ٢٤١هـ): فضائل الصحابة، مراراً. صحيح البخاري: مراراً. صحيح مسلم: مراراً. سنن الترمذي. ابن شاهين (ت: ٣٨٥هـ): فضائل فاطمة بنت رسول الله ﷺ مراراً. الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ): فضائل فاطمة الزهراء، مراراً... .

٤. الآحزاب/ ٥٧.

٥. البقرة / ١٥٩.

٦. إشارة إلى الأئمة الأطهار عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

٧. الرعد/ ٢٢-٢٤.

٨. أي أهل البيت ﷺ سنداً لخطبة الرسول الأعظم ﷺ في حجة الوداع يوم عرفة: الترمذي (ت ٢٧٩هـ): سنن الترمذي،ج٥، ص٦٦٢. وعلى غدير خم راجع: النسائي (ت ٣٠٣هـ): السنن الكبرى، ج٧، ص٣١٠. «كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابَ اللهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا؟ فَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ» وكذلك السيرة الحلبية وغيرها ... .

٩. إنهاءات الآيات: ابراهيم/ ٥، لقمان/ ٣١، سبأ/ ١٩، الشورى ٣٣.

١٠. الزيادة في فضائل السادات.

١١. في فضائل السادات: «فيا لنا».

١٢. في ليلة القدر قال الله عزوجل: <فيها يفرق كل أمر حكيم>وفي الدر المنثور: أخرج الخطيب عن ابن المسيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: رأيت بني امية يصعدون منبري فشق ذلك علي، فأنزل الله: ﴿إنا انزلناه في ليلة القدر...﴾.
أقول: وروي أيضاً مثله عن الخطيب في تاريخه عن ابن عباس، وأيضاً ما في معناه عن الترمذي وابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي عن الحسن بن علي.
وهناك روايات كثيرة في هذا المعنى من طرق الشيعة عن أئمه أهل البيت عليهم السلام، وفيها أن الله تعالى سلّى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بإعطاء ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر وهي مدة ملك بني امية. وفي الكافي والروايات في ليلة القدر وفضلها كثيرة جدا، وقد ذكرت في بعضها لها علامات ليست بدائمة ولا أكثرية كطلوع الشمس صبيحتها ولا شعاع لها واعتدال الهواء فيها أغمضنا عنها... (الميزان، ج ٢٠، ص ٣٣٦).

www.noormags.ir

وأحسابَنا أشهر مِنْ يومِ بدرٍ[١]، وقَصْرُ مجدِنا أقرّتْ لهُ القُصُورُ بِالقَصُورِ، ولَبِسَتْ منه الشِعْرَى العَبُورُ شِعَارَ الغَيُورِ.

وجَوْهَرُنا مِنْ جَوهَرِ الشَّرَفِ لا مِنْ جَوهَرِ الصَّدَفِ[٢]، ويَواقِيتُنا من يَواقِيت[٣] الأَحْرَارِ لا مِنْ يَواقيت الأَحْجَارِ، لَسْنَا ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ في شَكٍّ مِنَ الدِّينِ، إنّا لَعَلَى هُدَىً بِيَقِينٍ[٤]؛ وأيُّ يَقينٍ، رأيُنَا فيهِ ـ ولله المنّة ـ سَدِيدٌ، وبَأْسُنَا شَدِيدٌ، وكيدُنَا عَتِيدٌ لِكلِّ جَبّارٍ عَنِيدٍ، وحَيُّنَا سَعيدٌ، وقتيلُنَا شَهيدٌ.﴿...وما عِندَ الله خيرٌ لِلأبرار﴾[٥].

وعليكُم أيُّها الإخوانُ في الإسلامِ، المقلِّدونَ سَلَفَهُم في العقايدِ والأحكامِ، المُتَمَسِّكُونَ بقانونِهم الذي ﴿...ما أنزَلَ اللهُ بِهِ من سُلطانٍ...﴾[٦]، وقدَّمُوهُ على كِتابِ اللهِ وسُنَّةِ النبيّ.﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٧]، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا...﴾[٨]، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[٩]،

وبَعْدُ؛ فلَمّا هرَبَ ولدُكُم خَوفاً مِنَ القَتلِ[١٠]، وأنْ يُفعلَ بِهِ كما فُعِل بإخْوتِهِ مِنْ قبلُ حَيْثُ﴿[ثُمَّ] قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ...﴾[١١]، فَوا عَجَباً كَيفَ تُجَوِّزونَ قتلَ أولادِكُم خَشْيَةَ إملاقٍ مِنَ المُلْكِ، ولا تَخَافونَ اللهَ، وتَجْتَرؤونَ عليهِ، ومُجْرَونَ[؟] على قَانُونِكُمُ الذي زيّنهُ سِفهُ أحْلامِكُمْ، وتَدْخُلونَ في خِطابِ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[١٢]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[١٣].

ولمّا جاءَنا[١٤] أدْخَلْنَاهُ في جُمْلَةِ أضْيَافنا، وأكرَمْنَاهُ بِمَا يليقُ بِهِ جَرْياً على عادَةِ أسلافِنا[١٥].

---

١. لقد اختص الله تعالى على لسان رسوله ﷺ لمن اشترك في معركة بدر من المسلمين والملائكة على سواهم بفضل عظيم، بعظم الموقف، ويكفي أن يقال لأحدهم: بدري. وكان لإنزال الملائكة في غزوة بدر حالة خاصة وتوجيه مستقل مغاير لنزولهم في غيرها ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾(آل عمران/١٢٣و١٢٤).

حول الموضوع ودور آل هاشم (علي ـ وكان حامل الراية وتسمى: الْعُقَابُ ـ وعمه الحمزة و عبيدة بن الحارث) راجع تفسير الميزان، وسيرة ابن هشام والسيرة الحلبية وغيرها.

٢. لعله يشير لنسب آل عثمان كونهم من قبائل بدو رحل... مقارنة بالنسب النبوي الشريف الذي ينتهي إليه الشاه طهماسب... .

٣. الياقوت: واحدته أو الْقِطْعَة مِنْهُ ياقوتة (ج) يَوَاقِيت.

٤. سنداً للآية ٢٤ من سورة سبأ: ﴿...وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

٥. آل عمران/ ١٩٨. وإلى هنا ينتهي نص فضائل السادات.

٦. يوسف /٤٠. و النجم ٢٣.

٧. المائدة/ ٤٤.

٨. لقمان/ ٢١.

٩. البقرة/ ١٧٥.

١٠. أي: بايزيد. راجع الحادثة في: يلماز: تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص ص ٣٧٤ ـ ٣٥٢. وأحمد آق كوندز و سعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة، ص٢٤٧. ومحمد فريد المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٨.

١١. البقرة/ ٧٤.

١٢. محمد ﷺ/ ٢٢.

١٣. ابراهيم/ ٤٢.

١٤. دخل قزوين العاصمة الصفوية في ٢٣ صفر١٥٦٧هـ/ ٢٤ تشرين الثاني ١٥٥٩م. يلماز: تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٣٥١.

١٥. يشير إلى والد السلطان طهماسب وآبائه، عندما كان يلجأ إليهم بعض العثمانيين أيام السلطان سليم والد سليمان هرباً أو يقعون أسرى لديهم ... راجع تفاصيل: يلماز: تاريخ الدولة العثمانية.

www.noormags.ir

والد الشيخ البهائي يكاتب السلطان العثماني سليمان القانوني

فَحَرَّكَهُ الطَّبعُ الوخيمُ والأصلُ اللّئيمُ، ووعَدَهُ الشَّيطانُ ومَنّتْهُ نَفْسُهُ أمْراً كَبيراً[١]، ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[٢]، فكانَ مِنَ﴿... الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[٣]. ولقَى هو جَزَاءَما زَيّنَهُ لهُ الشيطانُ مِنْ سوءِ فِعْلِهِ،﴿... وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ...﴾[٤].

ولكنّا أبْقَينَا عَلَيهِ وعلى أوْلادِهِ أنْفُسَهُمْ لِمَا تقدّمَ بَينَنَا وبَينَكُم مِنَ الصُّلحِ[٥]، وحِفظاً للذِّمَامِ والذّمَار.

فَصْلٌ [أوّلٌ]

ثُمَّ وصَلَتْ كُتُبُكُمْ مَعَ رَسُولِكُم[٦]، وأنْبَأتْنَا عَمَّا تخيّلَ في عُقولِكُم، فَطلبتُم مِنّا أُموراً ما أحْسَنتُم في طَلابِها، ولا دَخلتُم البُيوتَ مِنْ أبوابِها[٧]، لأنّهُم طلبوهُم ليقتُلوهُم[٨].

فَواعَجباه!، كيفَ تَطلِبونَ مِنّا هذا الأمر العظيم؟ الذي لا يجوزُ في الشّرعِ، ولا في العُرفِ، ولا في النّقلِ القَويمِ. وأنتُم مُصِرّونَ على ظُلمِنا، وأخذِ أملاكِنا مِنَ الزَّمَنِ القَدِيمِ.

أبَعْدَ أنْ تعدّيتم عَلينا مِرَاراً، وفَعَلتُمْ فِعلَ الجَبّارِ العنيدِ، تَطلبونَ مِنّا مَنْ هَرَبَ خَوفاً مِنَ القتلِ، واستجارَ بِنَا فأجرناه؟ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٩].

وهَلْ يليقُ منْ مِثْلنا أنْ يخونَ ذِمّتَهُ، أو يَهْدِمَ حُرمَتَهُ؟، وقد ثَبُتَ في الشَّرْعِ أنَّ الكافِرَ إذا اسْتَجارَ بالمُؤمِنِ وجَبَتْ إجَارَتُهُ[١٠]، أفَلَا تُبْصِرون[١١]﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ...﴾[١٢]،

١. وهي محاولة الانقلاب بالجيش الذي معه على الشاه الذي بعد فشلها شتت جيشه ووضعه تحت الإقامة الجبرية. راجع: يلماز: تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص٣٥١. ...

٢. النساء/ ١٢٠.

٣. إبراهيم / ٢٨ـ ٢٩.

٤. فاطر/ ٤٣.

٥. إشارة إلى اتفاقية أماسيا عام ٩٦٢هـ/ ١٥٥٥م.

٦. راجع: يلماز: تاريخ الدولة العثمانية. ج١، ص ص ٣٤٧ ... ٣٥١.

٧. استعارة من الآية الكريمة: <... وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ>البقرة/ ١٨٩.

٨. عبارة: (لأنهم طلبوهم ليقتلوهم) كتبت على الهامش الأعلى من ورقة المخطوط.

٩. آل عمران/ ١٨٢. والأنفال/ ٥١.

١٠. اقتباساً للآية ٦ من سورة التوبة ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾. راجع: تفسير الميزان، ج١٤، ص١٥٤. وسيرة ابن هشام، ج٢، ص ٥٤٤.

١١. استعارة من تعبير قرآني ورد ثلاث مرات في نهاية كل من الآية ٧٢/ القصص. و٥١/ الزخرف. و٢١/ الذاريات.

١٢. سبأ/ ٥٤.

www.noormags.ir

والد الشيخ البهائي يكاتب السلطان العثماني سليمان القانوني

﴿... كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[١]. ثُمَّ إنّ طلبكُم إنّمَا هو لِخَوفِ إفسادهِ عليكُم، فعلينا عهدُ اللهِ ألّا نُمَكّنهُ مِن ذلكَ ما دُمْنا ودُمتُم سَالمين، وإذا جَاءَ أمرُ اللهِ فـ﴿...إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، وأمّا الآنَ فلا ضَرَرَ ولا إضْرَارَ.

فَصْلٌ [ثَانٍ]

ليسَ في مَنعِ رَدّهِ عليكُم نَقضٌ للصُلحِ الذي وقعَ مِنّا إليكُم[٣]، لأنّهُ ليسَ في عَهدِنا أنْ نَرُدّ مِن أولادِكُم مَن بَغيتُم عليهِ أو بَغَى عليكُم.

فإنْ بقيتُم على الصُّلحِ فأنتُم الأخوانُ في الإسْلامِ، رَضِينا بِمَا عِندنَا عِوضاً عمّا عِندَكُم رَأساً بِرأس، وإنْ نَقَضْتُموهُ عُلواً واسْتِكباراً فلا بَأسَ علينَا، وسَيَحِلُّ بِنَاقِضِ العَهدِ البأس ﴿[وَ] الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[٤].

وكيفَ نَخافكُم وقدْ ذَهَبَ مِن قبلُ بَعْضُنا إليكُم؟ وكانتْ كَلِمَتكُم بينَكُم مُؤتلِفةٌ، وكَلِمَتُنا مُختلِفةٌ[٥]، ولمْ يَكُنْ بَيْنَنَا وبَيْنَكُم صُلحٌ، وزَحَفتُم إلينَا[٦]، ودولتُكُم آخذةٌ في الإقبالِ تُريدونَ بِنَا ضَيْراً[٧]، فَرَدّكُم اللهُ بِغَيظِكُم لَمْ تنالوا خيراً، فَكيفَ تَرجونَ بِنَقضِ الصُّلحِ خيراً وأكثرُكُم عِندَنا[٨]، وقُلوبُ عَسكَرِكُم في الظّاهرِ تَوَدُّكُم وفي البَاطِنِ تُكاتِبنا وتَوَدُّنَا؟[٩].

وبَيننَا وبَينَكُم صُلحٌ، فَمَاذا عَسَى أنْ يَصْنَعوا إذا نَقَضْتُم الصُّلحَ!؟، ودَولَتُكُم لِبَغْيكُم وقتلِ أولادِكُم نَافِذَةٌ في الإدْبَارِ ﴿... فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾[١٠]، ﴿...وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[١١]، ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾[١٢]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[١٣]، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ...﴾[١٤].

تَمّ وكَمُلَ

١. غافر/ ٣٥.
٢. الأعراف/ ١٢٨.
٣. تم عقد الصلح بين الدولتين وعرف بمعاهدة «أماسيه» عام٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م.
٤. الرعد/ ٢٥.
٥. يُذَكّر الشيخ حسين بأيام التجاء شقيق الشاه « القاصميرزا»إلى السلطان العثماني سليمان المخاطب.
٦. وهو الزحف العثماني على إيران واحتلال عاصمتها آنذاك تبريز.
٧. إشارة إلى الحملات العثمانية الثلاثة على إيران.
٨. عندما التجأ نجل السلطان سليمان إلى الشاه طهماسب كان معه أولاده والكثير من الجند والأتباع...أو أنه يلمّح للرأي العام، وجيش الانكشاريين منهم. خصوصاً بعد قتل ولده مصطفى الذي كان محظياً لديهم... .
٩. هي الحرب النفسية، علماً أن الانكشارية كانت تميل إلى الأمير مصطفى، وبعد مقتل الأخير حاول البعض منهم التمرد ولكنهم أخمدوا. راجع وقائع وتداعيات الحادثة في تاريخ الدولة العثمانية... .
١٠. يونس/ ٧١.
١١. الشعراء/ ٢٢٧.
١٢. النمل/ ٨١.
١٣. السجدة/ ٢٢.
١٤. هود/ ١٦.

www.noormags.ir

والد الشيخ البهائي
يكاتب السلطان
العثماني سليمان
القانوني

الصفحة الأولى والأخيرة
من مخطوط مكتبة آية الله
السيد محسن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون المخاطب بما أرسلناك إلا رحمة للعالمين محمد رسول الله
والذين آمنوا أشداء على الكفار فذلك جدنا سيد الأولين والآخرين
صلوات الله وسلامه عليه صلوة وسلاما دائمين بدوام الأعصار وعلى أبينا
علي أمير المؤمنين أخي النبي وابن عمه ووصيه وولي المؤمنين بعض إنما
وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة وهم راكعون * إن في ذلك لآية وذكرى لأولي الأبصار باب
مدينة العلم ومحبوب الله ومحبوب رسوله ومحمد وحبهما
وولده كان النبي مولاه كما شهدت به الأخبار وعلى ابنتا سيدة النسا
فاطمة الزهراء المنصوص برحمة الجبار المدفونة بغضبها على غاصبيها سرا
بعد ما جمعوا الحاطب بجمعة حتى مزاتها أعداؤها بنيها إن الذين يؤذون
الله ورسوله أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * فيا لها عبرة
لذوي الأبصار * وعلى جدتنا خديجة الكبرى ذات الفضل على نساء الأنام
السابقة بالهجرة إلى دار السبوع إلى الإسلام * وعمي النبي المختار *

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم
اللعنة ولهم سوء الدار * وكيف تخافكم وقد ذهب من قبل بعضنا إليكم
وكانت كلمتكم مؤتلفة وكلمتنا مختلفة ولم يكن بيننا وبينكم صلح
ورحتم إلينا وقلتم لنحن في الأعمال ترتدون بنا صيرا فوق ما أراد الله
بعضكم لم تنالوا خيرا فكيف ترجون بعض الصلح خيرا وأكثركم عندنا وقلوب
أكثركم في الظاهر مودة لكم وفي الباطن كاشحة وودنا وبيننا وبينكم
صلح فإذا أحب إن بعضنا الذي نقضه الصلح وقتل الأكابر
بعضنا في الديار فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة
ثم اقضوا إلي ولا تنظرون * وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب
ينقلبون * وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من
يؤمن بآياتنا فهم مسلمون * ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم
أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون * أولئك الذين ليس لهم
في الآخرة إلا النار * ثم وكل بسم الله الرحمن الرحيم
قول مع معدم شعر الرأس جثيفة أو حكا أو بشرة
لا ريب في أن المعدم هو ما قدم خلقة على جزء من الشعر في مبدأ الرأس
تابلي الجبهة والرأس المراد به محل النبت في سوي الخلقة والمراد بالجثيفة
ما كان حاصلا أو متحققا بالفعل كما في سوي الخلقة الذي لم يذهب

www.noormags.ir

مقالات (فارسی)

Persian Articles / المقـــالات الفارسية